روح هائمة

رواية

صبحي شبل

روح هائمة
رواية
صبحي شبل
الإسكندرية : حسناء للنشر
الطبعة الأولى : ٢٠١٧
ISBN 978 -977-6535-07-7
رقم الإيداع : ٢٨٤٧٨ / ٢٠١٧
ديوى : ٨١٣
١٢٤ ص ، ٢٠ سم

{ جميع الحقوق محفوظة © }

الإسكندرية ، ج . م . ع
٠١٠١٨٨٣١٣٦١
٠٣/ ٥٧٦٥٧٧٧
المدير العام : عادل أبو الأنوار

المراجعة اللغوية : عادل أبو الأنوار
الإخراج الفنى : أمير مصطفى

على سبيل التقديم

أشرف مهنة مهنة الطبيب يعمل ليل نهار من أجل راحة البشر و كثيرا ما تساءلت ما العلاقة بين الأدب و الطب و ما سر نجاح الأطباء إذا اتجه للأدب لعل أبرزهم يوسف إدريس المبدع صاحب الرؤية و

للمبدع ا

بقصص واقعية لعل أهم ما يميزها لغتها الراقية و غلافها العلمي يستطيع القارئ أن يمس موضوع الروايات و الهدف من وراءها و رسالتها القيمة التي تدعوا للفضيلة و القيم داخل مجتمعنا ما أحوجنا إليها الآن بعدما انتشر الضلال و القبح داخل الروايات و القصص بدعوة حرية المبدع و الديمقراطية في وسط هذه العتمة يطل علينا دكتور صبحي بقصص من نوع خاص تعيدنا إلي زمن الإبداع الجميل وتأخذك لعالم ملائكي تؤكد سطورها أن الدنيا ما زالت بخير و عدل الله باقي و انه كما تدين تدان و الحياة لا تستقيم إلا بعدل الله.

هذا النوع من الأدب يجعل الإنسان يشتم رائحة الجمال و الرقي و الحق و الخير لذلك ما أحوجنا إلي إعادة القيم الأصيلة إلي أدبنا المعاصر لكي نعيد الروح المصرية و القيم الدينية و المتعة التي تطوف بأرواحنا إلي عالم الخير و الجمال.

د/صبحي شبل إضافة لعالم الأدب و العلم لأن أدبه يمزج بين العلم والأدب أتمني أن يستمتع الجميع بهذا اللون من الأدب الراقي.

دكتورة/ رجاء الغمراوي
استاذ الإعلام..
قسم الإذاعة والتليفزيون
كلية الأعلام - جامعة فاروس.

تمهيد

غريب جدا عالم الأرواح.. عالم لا يمكننا تصوره أو الخوض فيه، كل ما نعلم أن الإنسان مادة "جسد" تحيط به روح (قبس من روح الله).. وهي جسم أثيري نوراني لا ندري أين مكانه من جسم الإنسان.. كيف ينتقل من مكان إلى مكان.. يتوفاه الله عند النوم.. ثم يرده إلى صاحبه إن كان في العمر بقية.. لاحد لحركتها في الأحلام ترى وتتحرك بقوانين غير قوانين البشر، تدخل وتخرج حتى من الأبواب المغلقة، تسافر إلى بلاد بعيدة بعيدة وصاحبها في سرير نومه لم يتحرك.. ترى وهو نائم مغمض العينين، تغوص في الماء.. تطير في الهواء أسرع من انتشار الدخان في الهواء.. شيء غامض.. مدهش.. خارق ومثير..

فالجسد المادي كما قال فيثاغورث ليس المظهر الوحيد لهذا الكون.. ولكن هناك مظهر ثان وهو الطاقة.. قوة الحياة (قل الحياة نفسها)، الإنسان بدون هذه الروح مجرد تمثال من الطين من الحمأ المسنون.. من صلصال،

ولما سجد الملائكة لم يسجدوا للطين.. إنما سجدوا لروح الله في هذا الطين.. للطاقة الجبارة التي أعطت لهذا الطين الحياة..

هو الجسد الأثيري (الروح) هو تؤام الجسد المادي الذي إذا انفصل عنه كانت غيبوبة الموت.. فالجسد لا يساوي إلا قيمة الطين إذا غادرته الروح.. وعند الموت تتحرر الروح (الجسد الأثير) ليسبح في الملكوت الأثيري الفضائي الواسع.. بغير حدود..

وهنا نجد أمام حقيقة الموت.. فالموت ليس نهاية بل انتقال من حياة إلى حياة أخرى فيها كل العدل والحرية والحساب والجزاء على العمل حيث هناك لا ظلم ولا ظلمة وجبروت ولا جبارين.. فقط الله وعدله المطلق..

كل كتب الله إلى الأرض تؤكد على وجود الروح ووجود عالم ما بعد الروح وبخاصة القرآن الذي يثبت البعث والحساب، بل إن الإنسان بفطرته النقية.. كان يعلم بوجود هذه الحياة فيما بعد الموت، بل و يستعد لها كما كان يفعل قدماء المصريين.. الله وحده يعلم..

وهذه قصة تخيلية لا تمت للواقع بصلة.. وإن كان ترتيبها جاء من خلال بعض المواقف التي تحدث ولا نجد لها أي تفسير.. لماذا حدثت؟ وكيف حدثت؟ لا ندري..

قد بين الله سبحانه وتعالى أن الروح أمر من أمور الله لا يخضع لعقول البشر، ولا ندري من أمرها شيء، وقد بين الله أن الأرواح جند من جنود الله تتقارن وتأتلف وتختلف بقدر ما أراد الله جل وعلا..

وقد بين الله أن عالم ما وراء الطبيعة (باراسيكولوجي) قد يعطيه الله لإنسان دون إنسان بحسب قربه أو بعده من ربه، فهو يستطيع أن يرى بعين الله (ما لايمكن للإنسان العادي أن يراه) ويسمع بسمع الله (ما لايمكن للإنسان العادي أن يسمعه) وأن يبطش بيد الله ويتحرك بقدمه، وليصل إلى مرتبة العبد الرباني..

وإلا ما تفسيرنا لعمر بن الخطاب يدخل عليه أحدهم فيرى أثر الزنا في عينه.. يأتيه اثنان بنفس الحلم (أرى في منامي أني أؤذن) فقال لأحدهما أبشر بالحج، وقال للآخر: اتقِ الله فأنت سارق، ولما سئل عن ذلك قال رضي الله عنه: نظرت للأول فرأيت قول الله ﴿**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾ وقال نظرت في عين الثاني فقرأت قول الله ﴿**ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ**﴾

وإذا كان غذاء الجسد المادي ما تعرفون من طعام وشراب وشهوة فإن غذاء الروح هو علاقة بينك وبين الله.. تقوم على المكاشفة والتقوى ومن قبلها مجاهدة النفس والهوى والشيطان والاتصال للروح لترقى في الملكوت ويكون من خلفها يوم القيامة الجائزة الكبرى أن ترى رب الملكوت.. ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ** ﴾

١

مساء يوم شتوي غائم وفي واحدة من عشوائيات مدينتي العزيزة عروس البحر المتوسط.. وعلى حرم قطار الضواحي الداخلي في الطابق الأرضي لأحد البيوت الفقيرة على محطة "غبريال"..

"وأنا قبلت زواج موكلتي السيدة /عفاف السيد إسماعيل.. من السيد / محمد جمال بدوي، لنفسه وشخصه على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، وعلى الصداق المسمى بيننا والحاضرون جميعًا يشهدون بذلك، والله خير الشاهدين".

في بيئة تتميز بأعلى معدلات التلوث السمعي والبصري والبيئي، بين أصوات الباعة الجائلين والتكاتك والسيارات والتي تضيع بين الفينة والفينة في ضجيج أصوات القطارات القادمة والمغادرة.. ومع اختلاط الحابل بالنابل وزغاريد الجارات.. تدور أكواب شربات الورد الأحمر اللذيذ وقطع الحلوى..

تستطيع أن تميز صوت الحاج إسماعيل خال العروس عفاف ووكيلها في الزواج يهنئ العروسين مع التوصية بالعروس وأولادها اليتامى (أحمد ونور).

- عفاف وأولادها أمانة في عنقي.. وفي عيني..

هكذا أجاب الزوج "محمد جمال بدوي" في أدب يلزم في هذه المواقع، وهو كاتب قصصي مغمور.. يكتب القصص القصيرة ويجيد حبك النهايات.. شخصية غريبة الأطوار.. متقلبة المزاج.. لكن يبدو أن قريحته قد خفتت.. بعد كل ما مر به في السنوات القليلة الماضية.. وبعد زواج ينتهي نهاية درامية حين تموت زوجته وطفله الوحيد ومعهما أسرار..

هذه النهاية المأساوية والتي لم يفلح أحد في فك ألغازها.. وقد سبق هذه الحادثة لغز أشد غرابة وهو الاختفاء المفاجئ لشقيق الزوجة عماد.. ثم اعتباره ميتا "بحكم قضائي" لترث الزوجة وحدها الفيلا الأنيقة وحديقتها واسعة الفناء في "كفر عبده " أحد الأحياء الواقعة في منطقة رمل الإسكندرية..

يحترق الكوخ ذو السياج الحديدي والموجود في منتصف الحديقة تمامًا حيث تلقى الزوجة مصرعها ومعها ابنها الوحيد بعد أن فشلت كل محاولات الإنقاذ من البواب "سعداوي" ودادة "حليمة" والزوج..

وفي النزع الأخير تذكر الزوجة اسم شقيقها "عماد".. يسدل الستار وتقيد الحادثة ضد مجهول..

بدأ ذلك المجهول يصول ويجول في أرجاء الفيلا.. ويصاب الزوج بلوثة عقلية شخصها الأطباء بأنها هلاوس سمعية وبصرية لم يستطع معها الحياة وحيدًا في الفيلا.. فهجرها وأهمل حديقتها..

وتنتشر الشائعات عن الفيلا المسكونة التي تركها صاحبها في حراسة البواب والخادمة وسافر إلى أحد البلاد العربية هروبًا من واقعه الدرامي الأليم..
وبعد شهور من الزواج الجديد..

يفشل الزوج في كتابة سطر واحد متعللا بتغير المناخ المحيط والأحوال من صخب وضوضاء وباعة جائلين.. وهواء ملوث يشاركهم حجرات البيت الضيقة، ناهيك عن أصوات القطارات القادمة والمغادرة.. والتي تزلزل أركان البيت وقواعده.. يبدأ التفكير في تغيير محل السكن..
وتفشل محاولات عرض الفيلا للبيع لتدني السعر ولم يكن هناك بد من العودة للفيلا بتشجيع من زوجته عفاف.. وتستعد الفيلا لاستقبال "محمد بك" كما يطلق عليه البواب سعداوي.. ومعه أسرته الجديدة..
الزوجة "عفاف" وتوأمها "أحمد ونور" ذوا السنوات العشر.. ويشعر "محمد بك" أن الدنيا ابتسمت له من جديد وأن الزمان قد غير عنه وجهه الكالح.. وأن الأيام تفتح له ذراعيها.. وعليه أن يبدأ من جديد رحلة الأمل..
تمضي الأيام الأولى سريعة.. الزوجة "عفاف" منهمكة تمامًا في تنظيف الفيلا مع دادة "حليمة" والخدم.. وتلميع كل ركن من

أركانها والقيام على أمر الأثاث والمفروشات، واستكمال ما يلزم من أدوات ومستلزمات حياتية ضرورية من أرضيات وستائر وإعادة طلاء بعض الحوائط.. وصيانة كل الأجهزة الكهربائية.. وإن هالها اتساع الغرف والردهات الطويلة التي تربط أركان الفيلا والفضيات والأنتيكات التي تملأ كل جوانب الفيلا..

أما الزوج و"سعداوي" البواب وبعض الجناينية فقد عكفوا على أمر الحديقة التي عانت الإهمال طويلا.. فأعادوا تنسيق الأحواض وتهذيب الأشجار.. وتشجير الأسوار ودهان السور بعد ترميمه.. وصيانة أعمدة الإنارة، وعادت النجيلة الخضراء للأرض.. وجلب شتلات الزهور ونباتات الزينة الملونة حتى أصبحت الحديقة جنة خضراء تسر العينين..

اكتمل الأمر وعاد للفيلا بهاؤها وللحديقة رونقها وجمالها، وبعد مغرب أحد الأيام جلس الأربعة في التراس الأمامي للفيلا.. المطل مباشرة على المنظر الرائع للحديقة.. الزوج والزوجة والتؤام أحمد ونور..

لا يكادون يصدقون الحلم الذي أصبح حقيقة من حولهم وواقعًا ملموسًا..

الزوجة منهمكة في إعداد بعض المشروبات والحلوى وبين الحين

والحين تسرح ببصرها في الحديقة وتملأ عينيها من سندسها الأخضر وأزهارها البديعة..

الزوج مسترخٍ تمامًا على أحد المقاعد الوثيرة وكأنما يعيش في حلم جميل بين أحلام اليقظة التي يحققها الجني الذي يسكن المصباح..

وعلى الأرض تسمع ضحكات الطفيلن يلهوان بأحد الألعاب وقد انفصلا تمامًا عن العالم من حولهما في برءاة طفولية صادقة..

الزوج.. وقد شد انتباهه الحركات المفاجئة لزوجته وكأنها ترقب أمرًا بالحديقة..

الزوجة: لا شيء.. كأني أرى بعض الخيالات تمرق أمام بصري في أطراف الحديقة.. يبدو أنني أحتاج لقسط وافر من النوم بعد كل هذا المجهود المضني.. - وأردفت - أظن أنه لم يعد لك حجة أيها الكاتب العظيم.. نريد أن نرى إبداعاتك وكتاباتك.. حجرة المكتب وهدوءها والمنظر الخلاب الذي تطل عليه يشحذان القريحة..

ويعالجان القحط الذهني الذي تعاني منه..

الزوج: صدقتِ.. فعلا المكان نموذجي لاستقبال وحي الكتابة وشيطان الإبداع..

الزوجة: أين نحن من ضجيج القطارات وصياح الباعة الجائلين وضجيج الأطفال والألفاظ النابية التي تشاركك حجرات النوم دون استئذان.. والهواء الملوث الذي يعيش معنا صباح مساء..

الزوج: كنت أجلس للكتابة.. فأشعر أن البوفيه الفقير أمامنا.. والمعلم وحتى صبي النصبة يشاركونني الكتابة.. بل كنت أسمع المساومات على ثمن قرص الترامادول.. والنصف ملم على ناصية البيت..

قالت الزوجة: من أين لك هذه الفيلا الجميلة؟

الزوج: ورثتها عن المرحومة زوجتي "كاميليا" وكانت الوريث الوحيد بعد اختفاء شقيقها "عماد" وصدر حكم قضائي بوفاته.. بعد أربع سنوات من اختفائه، ومنذ تلك اللحظة تغيرت "كاميليا".. يبدو أنها أصيبت باكتئاب حاد.. فقد كان شقيقها الوحيد.. بدأت تتخيل أمورًا.. وتقسم إنها ترى "عماد" وتكلمه، وكثيرًا ما كان يطاردها في الحديقة وفي ردهات الفيلا.. بل وفي حجرة النوم.. حاولت أن أعالجها.. لكن سهم القدر نفذ.. ولقيت مصرعها وابننا حرقا في حادثة أغرب من الخيال.. حيث انغلق عليهم باب السياج الحديدي لكوخ الحديقة واندلع الحريق فجأة وانطفأ وخبا بعدما أخذ مني كل شيء..

وندت من عين الزوج دمعة..

الغريب أن الهلاوس السمعية والبصرية لاحقتها حتى النزع الأخير.. حيث كانت تردد.. "أنا أختك يا عماد".

قالت "عفاف": ما تمنيت أن أثير في نفسك كل هذه الشجون.. لكل أجل كتاب.. والدنيا محطات ويمضي قطار العمر.. ويتوقف لنزول

أحدنا.. لكنه لا يتوقف أبدًا.. الدنيا لا تتوقف لموت أحد ولو كان أعز الناس..

ويبدو أن الله أراد لنا جميعا السعادة والسكينة والهدوء.. أنا وأنت والأولاد.. وكتب لنا أيامًا سعيدة نرسمها سويا..

وكما ترى فالفيلا أصبحت رائعة.. وخضرة الحديقة تريح البصر وتأخذ الألباب.. والشمس تملأ أرجاء الفيلا ولم يبق إلا القبو.

هنا قاطعها الزوج بحدة ملحوظة وقلق ظاهر:

- لالا.. إلا القبو.. لا شأن لكم بالقبو.. ثم يخفف من حدة الصوت.. وكأنما أراد ألا يثير الانتباه.. إنه مغلق منذ عدة أعوام ويحتوي كميات من الكراكيب والروبابيكيا.. وأخشى عليكم من الهوام والثعابين..

ثم أضاف الزوج:

- وشوية ونستأجر شركة متخصصة تقوم على أمر القبو وتنظيفه..

والقبو يوجد أسفل الفيلا.. ويفتح خلفها تمامًا.. ويتصل بالفيلا بباب يفتح في نهاية ردهة من الردهات الخلفية الطويلة.. داخل الفيلا وهو مكان يدعو إلى الريبة وبعض الخوف..

الزوجة: كما ترى حبيبي.. نحمد الله على فضله ونعمته.. الغريب أنني أحس بونس عجيب في كل أرجاء الفيلا.. لم أشعر قط أنني

وحيدة في أي لحظة من اللحظات.. أشعر بأنفاس حولي ودفء يحيط بي.. فعلا وكما يقولون الأعتاب أقدام..

شرد الزوج بعيدًا كأنما يفكر في كل معاني حديث زوجته وهو يشعر بقلق بالغ يسري في كل مسارات جسده العصبية كتيار كهربي، فانتفض بصورة لم تلحظها الزوجة التي واصلت حديثها:

- بالأمس القريب وأنا أمام دولاب الفضيات أقدم على تلميعه شعرت بصوت صرير الكرسي إذا جلس عليه أحد.. قلت في نفسي أحد الأولاد.. وأنا لا أزال أقوم بتلميع القطعة التي في يدي.. وإذا بي أشعر برعدة تسري في كل جسدي حينما استدرت فلم أجد أحدًا..

الغريب أنني وجدت آثار أقدام أمام الكرسي.. يعني كان أحدهم هنا.. قلت في نفسي لعل أحدهم كان هنا ولم أشعر بانصرافه..

❊ ❊ ❊

٢

خرج الأولاد.. أحدهما خلف الآخر.. بعد أن اقترح أحدهما على الآخر أن يشربا بعض العصير.. قالا في صوت واحد:

دادة حليمة.. وراحا يتقافزان.. وما هي إلا برهة.. انطفأ نور التراس تمامًا..

قال الزوج: بالداخل نور... لعل أحدهم.. أحمد ونور..

قامت الزوجة لكنها وقفت واجمة.. مفتاح النور في وضع عدم الاستعمال.. أضاءت التراس مرة ثانية.. ثم جلست..

الزوجة: محمد هل ترى ما أرى؟

الزوج: لا أرى شيئًا..

الزوجة: هناك شيء عند مفتاح الكهرباء..

الزوج: يبدو أنك متعبة..

ذهب ووقف عند مفتاح الكهرباء.

الزوجة: احذر خلفك مباشرة..

استدار الزوج لكنه أحس بخيال ضبابي سرعان ما اختفى..

الزوج: يغلق عينيه.. يبدو أننا جميعًا متعبون.. لكن شيئًا ما تحرك في صدره..

سرح ببصره بعيدًا وكأنما غاب عن الدنيا.. وتداعى أمامه هذا المشهد...

كاميليا - زوجته السابقة - في حمام غرفة النوم.. تنادي على زوجها.. "محمد.. محمد.. من فضلك المنشفة من التراس.."
محمد كان بالحديقة.. جاءها احد بالمنشفة.. طرق باب الحمام.. فتحت.. تناولت المنشفة..صرخت بصوت عالي..
جاء الزوج على الصراخ.. سبقته دادة حليمة.. خرجت وفي يدها المنشفة تقطر دمًا..
"ماهذا؟ من أين جئت بهذه المنشفة؟ "
الزوج: أنا كنت بالحديقة..
كاميليا: دادة..
دادة حليمة: أنا بالمطبخ يا بنيتي..
الزوجة: إذن من أتى بالمنشفة؟ وما هذا الدم؟
وجم الجميع.. ولم ينبس أحدهم ببنت شفة.. لكن الزوج أضمر في نفسه شيئا.. الفوطة كانت فوطة عماد شقيق كاميليا المختفي..
عفاف: إيه.. أين ذهبت؟ أحس كأنك فصلت عنا وعن الدنيا..
الزوج وقد زاغت عيناه: ياريت نشغل صورة البقرة في البيت، وهيا لنأخذ جميعًا قسطًا وافرًا من الراحة..
وخيم على الفيلا مشاعر من القلق والريبة والخوف من مجهول يشاركهم الحياة فيها بطريقة تدعو إلى التساؤلات التي لا تجد أي إجابات، مما يثير شكوك كل واحد في الآخر..

وفي صباح أحد الأيام تنزل الزوجة إلى الحديقة لبعض الأمور ثم تصعد من سلم التراس.. يقابلها الزوج بابتسامة غريبة بعد أن ينظر خلفه إلى الهول الواسع..

"ماذا بك؟" قالت الزوجة وهي تبدي الكثير من الاستغراب..

قال الزوج: من أين أتيت؟ وأين كنت؟ ألم تكوني بالصالة منذ لحظات قليلة.. تخيلت أنك هناك على الكرسي الهزاز..

وألقيت عليك تحية الصباح سريعاً.. رغم ترددي.. قلت لعلكِ لم تسمعيني..

الزوجة: أنا بالحديقة منذ أكثر من نصف ساعة أجمع بعض الزهور الصابحة..

وهم الزوج ولم يعلق.. وساد صمت مريب قطعه صياح دادة حليمة.. التي جاءت تصرخ من مطبخ الفيلا..

الدادة: لا.. أنا مش ممكن أعيش في الفيلا دي.. أنا ست كبيرة ولا أتحمل هذه الأعمال الشريرة..

الزوجة: في إيه يا دادة كمان؟!

الدادة: كلما دخلت المطبخ أحس بمن يتبعني.. يقف خلفي.. أحس بأنفاسه في ظهري.. نفس حركات عماد يا ابنتي.. عماد عايش معانا في الفيلا.

أمور قد تمر مرور الكرام.. وقد لا تترك في النفس أي أثر ولكن إعادة ترتيبها يلقي بظلال من الريبة والخوف.. فما الذي يحدث في عالم ما وراء المحسوسات؟

الإنسان عبارة عن روح وهي قبس من روح الله سبحانه وتعالى.. في غلالة من الطين.. ولكل غذاءه ومطلوبه.. الجسد يميل للأرض.. مع مطلوبه من شهوة وغذاء ومتع ولهو.. والروح تهفو إلى السمو والملكوت وتحتاج إلى الروحانيات والزهد والشفافية وكل ما يسمو بها إلى الله سبحانه وتعالى..

لكن أين الروح بعد الموت؟! وأين روح الإنسان الذي مات ولم يدفن في قبر؟!

الله وحده يعلم ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾

يظل الصراع بين الطين والروح.. والعجيب أن علماء الباراسيكولوجي.. أو ما وراء النفس البشرية تخيلوا الروح جسمًا أثيريًا نورانيًا قد يتحرر من الجسد البشري الطيني.. لكنه يرتبط به بعصب نوراني.. فإن انقطع هذا العصب النوارني لا يعود الجسم الأثيري – الروح – إلى الجسد وتكون الوفاة.. وقد حاول العلماء تصوير هذا الجسم النوراني الأثيري بكاميرا خاصة كما فعل العالم – كريليان . في القرن الثامن عشر وسميت هذه الظاهرة بظاهرة

الطرح الروحي (أي خروج جسم أثيري نوراني من الجسد البشري – الروح -)

لكن أين الحقيقة؟ العلماء اتفقوا على أن الحقيقة لا يعلمها إلا الله.. ﴿**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾.

وعلى العشاء تجمعت الأسرة في الهول الكبير على السفرة، ويدور حديث ودي.. ويرفرف طائر السعادة والهناء على الأسرة، تحتوي السفرة على ستة مقاعد.. شغلت الأسرة أربعة منها متقابلة..

قالت عفاف: يبقى كرسيان..

الزوج: إن شاء الله يمن علينا بإخوة لأحمد ونور..

أحمد: أنا عايز أخ واسميه أدهم..

نور: لا أخت واسميها هدى..

الأم: أدهم وهدى إن شاء الله..

"وبينما تضع دادة حليمة أطباق الطعام.. فغرت فاها وقالت:

- سبحان الله.. من وضع أدوات الطعام أمام الكرسي على رأس السفرة؟

سكت الجميع..

أردفت: إنه مكان سيدي عماد!

ساد الوجوم بين كل الجالسين.. الاسم أصبح يتردد كثيرًا في الفيلا حتى أصبح "عماد" الغائب الحاضر..

قطع الصمت أحمد يقترح على الأم أن يفعلوا كما الأفلام الكبيرة ويضعوا صور العائلة حول السفرة على الحائط المتصدر للهول..
أثنى الزوج على فكرة أحمد وأمره بإحضار صورته وصورة نور وصورة الأم.. وأحضر هو صورة "كاميليا" وابنهما وصورة له هو..
وقضوا جميعًا الأمسية بعد العشاء في ترتيب وتعليق الصور،
ويستأذن "محمد" زوجته عفاف لتعليق صورة لزوجته السابقة وابنه..
قالت عفاف: رحمها الله رحمة واسعة، لولا كاميليا ما كنت أنا وأولادي في هذا المكان الجميل.. بل واقترحت هي الترتيب كالآتي.. صور كاميليا.. يليها ابنها ثم صورة محمد في المنتصف تليها صورتها ثم أحمد ثم نور..
ثم وقفوا جميعًا أمام هذا التغيير الذي طرأ على المكان واستبشروا خيرًا..
قال أحمد: أين تضع صورة أدهم وهدى؟ وضحك..
ضحك الجميع.. وحان وقت النوم.. فذهب كل واحد إلى حجرته وساد الفيلا هدوء وصمت كصمت القبور.. لكن يبدو أنه الهدوء الذي يسبق العاصفة.. وكانت غرفة دادة حليمة في منتصف الردهة التي تصل إلى الباب الخلفي المؤدي للقبو.. بجوار المطبخ..

وقبيل الفجر بقليل.. تشعر دادة حليمة بوقع أقدام منتظم يروح جيئة وذاهبًا.. يسري الخوف في أوصالها وكلما حاولت فتح الباب يختفي الصوت.. لكنها استجمعت شجاعتها وفتحت الباب فجأة..
تقول: فساد الظلام فجأة ولكنها أحست كأن الباب الذي يفتح على باب القبو أحدث صوتًا..
دخلت حجرتها وأغلقتها عليها تمامًا وحاولت النوم..

❊ ❊ ❊

٣

في الصباح.. كانت الصاعقة التي هزت البيت.. قاموا على صراخ أقرب للعويل لدادة حليمة التي وقفت في الهول أمام السفرة.. وقد امتقع وجهها وارتعدت أوصالها.. حتى جثت على ركبتيها تنظر إلى الحائط حيث الصور..

جرى الجميع ووقفوا مشدوهين.. لا يحرك أحدهم ساكنا.. فقد كانت الصور في أوضاع غريبة.. صورة كاميليا وابنها مقلوبة وملطخة بالدم.. وصورة عفاف وأحمد ونور عليها علامات استفهام بالدم.. وفي المنتصف صورة الزوج تحيط بها دائرة من الدم..

خرست الألسنة وانتقل كل تعبير عن الهلع والفزع والخوف إلى العيون، فهي وحدها الآن القادرة على التعبير.. يصدر منها آلاف الأسئلة وما من مجيب!

قصت عليهم "دادة حلمية" ما حدث قبيل الفجر.. وحضر "سعداوي" وأقسم أنه لم يغمض له جفن حتى الصباح.. بل كان معه صديقه يؤنس ليلته..

قال الزوج: وأين هذا الصديق؟ وما صلته بك؟ ولماذا حضر بالأمس بالذات؟

قال سعداوي: ولد عمي من الكفر.. ومر قبل سفره حتى أرسل معه أشياء للعيال..

لكن صوت الزوج محمد ونظراته كانت كمن يخفي أمرًا لا يعلمه إلا هو..

عفاف: يعني يا دادة يمكن يكون حد من الخارج؟ وماذا يعني بذلك؟!

دادة حليمة: أنا أخدم في هذه الفيلا عمري كله.. أهل الفيلا كانوا مقصد المحتاجين وملاذ الفقراء وأصحاب الحاجات.. يتمتعون بحب الناس القريب منهم والبعيد.. لم أرَ مثل هذه الأشياء إلا منذ اختفاء سيد "عماد".

الزوج: لكن عماد مات.. المحكمة أصدرت حكمًا بأن "عماد" مات.

الدادة: يا ولدي من مات نشتري له كفنا ويعرف له قبر.

عفاف: ولو عايش ما الذي يمنعه من بيته؟ وماذا يقصد من هذه الأفعال؟

وفي جلسة بين الزوج وزوجته.. تصارحه بمكنون نفسها وما يعتمل في عقلها..

"هل كان بينكم وبين عماد مشاكل؟ هل هناك علاقة بين ما حدث وما يحدث الآن وبين كونه الوريث الوحيد للفيلا مع أخته..

الزوج: ماذا كان يمكن أن يكون بيننا يا عفاف؟ كنا أسرة تعيش في أحسن حال.. حتى أراد أن يبيع نصيبه ليبدأ مشروعًا كبيرًا يصنع به مستقبله.. وساءت نفسيته بسبب توتر العلاقة بينه وبين أخته.. حتى اختفى فجأة ولم يعثر له على أثر.

الزوجة: ما تفسير المشهد الصباحي اليوم للصور في رأيك؟ ما معنى أن يتم قلب صورة كاميليا وابنك مع تلطيخها بالدم؟ ثم وضع علامات استفهام بالدم على صورتي وصورة أحمد ونور؟

الزوج: لا أدري، ولا أجد رابطًا بين الأحداث.

الزوجة: أنت كمن يدفن رأسه في الرمال.. الرابط موجود وواضح.. هذا لو كان عماد موجودًا بيننا.. هذا يعني أنك المقصود بالانتقام.. وإذا كان الانتقام قد بدأ بزوجتك المرحومة كاميليا وابنك.. فالوضع الجديد يعني أن الانتقام منك مستمر لكن فينا نحن.. أنا وأحمد ونور.

وبالتالي فهناك شيء غير واضح وغير معروف يربطك بـ"عماد"..

الزوج: عفاف.. أنت تكتبين سيناريو لفيلم بوليسي.. لمَ لا يكون الأمر كله محاولة للسرقة انتهت بهذه الحركات الصبيانية؟ بالله عليكم دعوا الأمر يمر لكي نبدأ حياتنا والله هو الحافظ..

- أتمنى ذلك.. وأرجو الله أن يتم سعادتنا وأن يعود هذا البيت كما كان يقصده المحتاجون والفقراء حتى نضمن رضا الله علينا..

قررت عفاف أن تخلد إلى الراحة في قيلولة النهار.. بعد كل ما حدث في صباح هذا اليوم.. وتبعها الزوج "محمد".. وما إن دخلت حجرتها وقبل أن تضيء النور تسمرت قدماها في الأرض تمامًا.. ودق قبلها بعنف والزوج خلف كتفيها مباشرة..

أترى ما أراه؟

ماذا يا عفاف؟ لا أرى شيئا؟

هناك من ينام في السرير.. وينظر إلينا بعينين لامعتين..

قال الزوج: أنتِ تهذين، موقف الصباح العصيب أثر عليك.

ها هو جلس.

ازدادت التصاقا بزوجها.. الذي استدار لينير المصباح الكهربي.. تقدم الجالس إليها.. وقف أمامها.. لا ترى له ملامح.. تصرخ...

الزوج: هذا هو النور.. أين الذي ينام؟ أين الذي يجلس؟ كفاية حرام عليكم دمرتم أعصابي..

واقترب كلاهما من السرير..

الغريب أن مفرش السرير كان عليه آثار لنوم أحدهم، وكان عليه بقعة من الدم ..

قال الزوج: لعلها علقت بأحدنا من الخارج من موقف الصباح!

بعد العشاء اجتمعت الأسرة على العشاء.. وقرروا جميعًا نسيان كل ما حدث من أحداث غريبة.. وكلف "محمد بك".. سعداوي بأن يقوم بدعوة إمام المسجد المواجه للفيلا للاستئناس برأيه فيما يحدث - وكان لا يفارق أهل الفيلا –

وحول أكواب العصير وقطع الحلوى التي صنعتها "دادة حليمة" يتجمع الجميع..

الزوجة والأولاد والشيخ حسن مهدي..

ويدور حديث عن الإنسان والموت والروح والجن.. وآداب الدخول والخروج والطعام..

- يا شيخ حسن.. سمعت منا ما حدث.. فهل لديك تفسير ديني مقبول؟! أم أنها أضغاث أحلام يقظة وانعكاس لما يعانيه الإنسان من مشاكل نفسية؟

الشيخ حسن: خلق الإنسان عجيب.. خلقه الله من تراب.. ثم من ماء، اختلط التراب بالماء فكان الطين.. تغيرت صفاته وتعفن فكان الطين.. تغيرت صفات الطين وتعفن.. فكان من حمأ مسنون.. ثم جف الماء من الطين فيبس فكان مثل الصلصال وأصبح الإنسان (آدم) كتمثال جميل من الصلصال الرائع.. دقيق الملامح لكنه مجرد تمثال ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي**﴾ .. ففي كل منا قبس من روح الله، كان حري أن يسجد لها الملائكة بالأمر ﴿ **فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ يعني يوجد في أي واحد فينا روح من نور روح الله في غلاف جسدي من الطين، وبها يعلو ويسمو إذا اهتم بغذاء الروح، ويهبط إلى أسفل سافلين إذا استسلم لهوى الجسد ورغباته، فإذا خرجت الروح بالموت انهدم الجسد.. وإذا اعتدينا على الجسد بالقتل لم يعد صالحًا للروح فتنطلق هائمة..

الزوج: وهذا هو الفرق بين الموت والقتل؟

الشيخ: نعم يا ولدي..

الزوج: يعني ما يظهر.. أو نظن أنه يظهر.. هذه أرواح؟

الشيخ حسن: ألا تعلم يا ولدي أن لكل بيت ساكنيه.. وأن أحدنا إذا دخل بيته أو حجرته عليه أن يسلم.. فإذا لم يسلم قال الشيطان ضمنّا المبيت.. فإذا قدم الطعام ولم يسمّ.. قال ضمنّا المبيت والعشاء، وإذا أتى أهله ولم يسمّ قال الشيطان ضمنا المبيت والعشاء والزوجة..

الزوجة: وماذا عن الجن؟

الشيخ حسن: أمة مكلفة كالإنس.. ولهم رسل.. ومنهم من سمع القرآن من رسول الله.. وآمن به بل وبلغ به قومه من الجن.. فمنهم المسلم ومنهم الكافر.. ﴿ **وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا** ﴾.

الزوج: وأين الأرواح بعد الموت؟

الشيخ حسن: ﴿ **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ** ﴾.. ﴿ **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ** ﴾

هناك أرواح طيبة.. وأرواح خبيثة.. تسجل في السماء ثم تعود إلى الجسد تنعم أو تعذب حتى البعث يوم القيامة..

الزوجة: وهل يمكن أن يحدث تفاعل بأي نوع بين الأرواح والأحياء؟

الشيخ حسن: إلى هنا نقول ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾

يا أولادي حصنوا بيوتكم بكتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم - تعلموا آداب الدخول والخروج من المنازل.. وآداب الطعام ودخول الخلاء.. والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن كالبيت الخرب.. ومثل الحي والميت.. كمثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه.. فالله يقول ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ وعلى الجانب الآخر ﴿**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ**﴾..

﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ** ﴾ .

﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ**﴾..

﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۞ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ** ﴾

يا أولادي القرآن ثم القرآن، سورة البقرة.. سورة الملك.. والواقعة والمعوذتين..

هدأت قلوبهم واطمأنت نفوسهم لكلام الشيخ حسن، واستبشروا خيرًا، انقضي الجمع على وعد بزيارة أخرى لتفقد الأحوال.. وخرج الزوج لقضاء بعض الأمور.. وانصرف كل واحد إلى أمره..

❊ ❊ ❊

٤

في حجرة الأولاد.. أحمد ونور يلعبان و يتقافزان.. ثم جلسا يلعبان بقطع الميكانو.. وقبل أن يكتمل الميكانو في البناء قذف أحدهم وسادة فوقع البناء.. ضحكا ولم يفكرا في شيء وواصلا مرة ثانية بناء الميكانو، وقبل أن يكتمل تلقى وسادة أخرى.. نظر أحمد فجأة وصرخ.. جرى.. وخلفه نور.. قابلتهما الأم وهي فزعة..

الأم: ماذا بكما؟

أحمد: أمي.. كنا نلعب فجأة ألقيت علينا وسادة.. نظرت في ريبة بجوار النافذة.. فوجدت شخصًا ينظر إلينا نظرة غاضبة..

جرت الأم صوب الحجرة.. وهي تتوجس شرًا وضربت دادة حليمة التي سبقتها الباب..

الدادة: يابني لا يوجد شيء النوافذ مغلقة.. والوسائد في مكانها ولعبتكما في مكانها سليمة.. أنتما تتوهمان..

نظر أحمد إلى نور نظرة استغراب ثم نظر كلاهما إلى الأم التي قالت: لا حوة ولا قوة إلا بالله.. ليمسك كل منكما مصحفه قبل النوم.. وليقرأ المعوذتين ودعاء النوم الذي تحفظونه:

"اللهم إني وجهت وجهي إليك وألجأت ظهري إليك مهابة ومخافة منك وإليك..

اللهم إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين"..

بذلك تكونان في معية الله وحفظه.. تصبحان على خير..

وجهت الأم حديثها للدادة: وبعدين يا دادة حليمة؟ ما الأمر؟ وأثناء سيرهما في الردهة وقف أحد الإطارات المعلقة..

الزوجة عفاف: - مرتعدة - لاحول ولا قوة إلا بالله..

الدادة حليمة: لا إله إلا الله.. صدفة يا ابنتي..

الغريب في الأمر.. كان الإطار لصورة عماد.. الغائب الحاضر..

الزوجة عفاف: طمنيني يا دادة.. كاميليا كان بينها وبين أخوها عماد أي خلافات؟ أكيد إنتي عندك معلومات.. إنتي عاصرتي كل الأحداث.. وما قبلها..

الدادة حليمة: مش عارفة يا بنتي أقول لك إيه ! الفيلا هنا كانت قبلة لكل محتاج.. ولكل واحد عنده خلاف أو مشكلة.. سيدي الباشا.. كان راجل يعرف ربنا وستي الحاجة الكبيرة آية من الآيات.. الله يرحمهم.. قبل ما يختفي سيدي عماد.. بدأت ألاحظ خلافات.. هو كان طيب جدًا بس مش بتاع علام.. حب يبيع نصيبه في الفيلا.. و ياخذ شقة صغيرة ويعمل مشروع كبير.. ونصيبه الثلثين، في يوم سمعت من المطبخ هذا الحوار بين ستي كاميليا ومحمد بك.

كاميليا: وبعدين يا محمد هنعمل إيه؟ مش هنقدر نشتري نصيب عماد.. ومش هنستحمل نسيب الفيلا.. ده مكان ميلادي وفيه ريحة أمي والباشا..

محمد: ومانقدرش ننزل عن المستوى ده.. وعماد مصمم وكلم سمسار.. وسمعته في التليفون بيتفق مع السمسار مع أربعة مشترين..

كاميليا: وهنعمل ايه؟ كده الأمور بتتأزم وسنجد أنفسنا أمام أمر واقع..

ودخلت في نوبة من البكاء..

محمد: أعدك.. لن يحدث ذلك.. سأحاول مع عماد.. ولن يكون الأمر إلا على جثتي..

الدادة: الغريب في الأمر يا ابنتي أني وجدت عماد خلفهما مباشرة ويبدو أنه استمع لكل الحديث.. لكنه توقف بعيدًا عنهما ووجدت أن الغضب بادٍ عليه.. وفي مساء نفس اليوم دار حديث عاصف بين عماد ومحمد في الحديقة.. وكان تحت نافذة المطبخ مباشرة لذلك استطعت أن ألتقط نهايته..

عماد: وما شأنك أنت بهذا الموضوع يا محمد بك؟ هذا خلاف أسري بيني وبين أختي.. ثم ما الخطأ عندما أطالب بحق شرعي وميراث كتبه الله..

محمد: الأمر لم يعد أمرًا أسريًا، إنه مستقبلي ومستقبل أولادي وزوجتي..

عفاف: وماذا حدث بعد ذلك؟ هل تطورت الأمور بين محمد وعماد أكثر من ذلك؟

الدادة: لا يا ابنتي.. الغريب أنه بعد ذلك هدأت وتيرة الخلاف بين الجميع.. حتى كان ذلك اليوم.. تكلم محمد بك وكاميليا أمامي:

كاميليا: ما الأخبار؟ تبدو متوترًا..

محمد: لا والله مرهق بعض الشيء.. غير أني تمكنت من الاتفاق أنا وعماد واقتنع تمامًا بوجهة نظري وانتهت المشكلة تمامًا..

كاميليا: إذن مالي لا أراك مسرورًا؟ تبدو متوترًا وكأنك خرجت لتوك من معركة..

محمد: لا.. أحس بإرهاق شديد.. هاخذ شاور وأدخل السرير ولما يحضر عماد بلغوني لتناول العشاء سويا وتكون بداية جديدة..

عفاف: ثم ماذا حدث بعد ذلك؟ استقرت أمور الفيلا؟

الدادة: بعدها.. اختفى سيدي عماد تمامًا كأنه فص ملح وذاب.. بحثنا في كل الأماكن وبعثنا في البلد عند أخواله وأولاد عمومته، وبعد ذلك بأربع سنوات محمد بك استصدر قرارًا من المحكمة باعتباره ميتًا وتمكين ستي كاميليا من الميراث..

عفاف: ولم يظهر حتى الآن؟ ولم تأتِ أي أخبار عنه؟

دادة حليمة: أبدًا يا ابنتي.. وبدأت الأمور تتطور بشكل مخيف وغريب.. بدأنا نسمع أصواتًا غريبة في الفيلا.. وأشياء تقع.. حتى بدأت نفسية ستي كاميليا تتغير.. تقول إنها ترى عماد في كل ركن.. وتسمع صوته في أذنيها إذا نامت.. وتجده في المرآة إذا وقفت أمامها.. حتى انهارت ودخلت مستشفى الأمراض النفسية.. وبعد خروجها كانت هادئة تمامًا.. لكنها تتحدث كثيرًا مع أخيها.. تقول إنها تراه وتسمعه.. وأنه يهددها بالحرق.. هي وابنها.. سأنسفك..

عفاف: ينسف من؟ هل ظهر عماد؟؟

دادة حليمة: شخص الأطباء حالته وحالة ستي كاميليا بأنها هلاوس سمعية وبصرية وانهيار عصبي كامل.. رغم ذلك ستي كاميليا كانت تقسم إنها ترى عماد في هيئة نورانية.. وكيف أن الجميع ظلمه.. لكنه لن يترك حقه.. وسينتقم من الجميع.. إلى أن جاء طبيب ممن يشتهرون بالروحانيات.. وكان يومًا له ما بعده..

عفاف: ماذا حدث يا دادة حليمة؟ أرجوكِ أكملي.. عايزة أفهم ماذا يحدث من حولي.

دادة حليمة: جاء الطبيب وسمع منهم ثم قال: لا أستطيع أن أجزم أن ما ترونه ليس حقيقيًا..

قالت كاميليا "يعني إيه؟ ممكن أكون باشوف عماد؟"

الطبيب: قال علماء الشريعة إن الإنسان روح (قبس من روح الله).. في غلاف من الطين.. وإن لم يستطيعوا تحديد مكان الروح

أو ماهيتها بدقة ولا حتى كم تساوي من الإنسان.. وهل إذا خرجت يقل وزن الإنسان أم لا.

محمد: وهل نستطيع التعامل مع الروح؟

الطبيب: هذا أمر من أمور الله..

كاميليا: أريد إجابة قاطعة أنا أرى عماد.. أو روح عماد.. إذن أنا مجنونة؟

الطبيب: قال بعض العلماء إن الروح تكوين أثيري نوراني ترتبط بالجسد بعصب نوراني.. إذا انقطع كان الموت..

كاميليا: لكني أعلم أنها تغادر الجسد في النوم..

الطبيب: تغادر الجسد لكن ترتبط به بالعصب النوراني.. وقد حاول بعض العلماء تصوير الروح بكاميرا حرارية خاصة كما فعل كيريليان في القرن الثامن عشر.. وسموا ظاهرة خروج الروح (الجسم الأثيري النوري) بظاهرة الطرح الروحي.. كل ما تستطيعه كتابة بعض مضادات الاكتئاب.. ومحاولة التأقلم مع الأوضاع وإن شاء الله لنا زيارات متواصلة..

عفاف: وهل هذه الزيارة كان لها أثار طيبة في عودة الهدوء للفيلا وتحسن أحوال مدام كاميليا؟

دادة حليمة: لا والله يا بنتي الأمور ذهبت للأسوأ.. زادت حالة ستي كاميليا سوءًا حتى كان ذلك اليوم المشئوم.. ستي كاميليا تسير في

الردهة.. زائغة العينين.. ومعها ابنها وائل، الذي طلب ماء ليشرب.. فدخلت المطبخ وكان هذا الحديث..

كاميليا: بعض الماء.. وائل يريد أن يشرب.. وياريت يفضل معاكي قليلا حتى أعود..

الدادة: إلى أين يا ابنتي؟

كاميليا: سوف أذهب لمقابلة عماد في الحديقة!

الدادة: تاني يا ابنتي؟ عماد مات ولن يعود.

وائل: أنا جاي معاكي أشوف أونكل عماد.. وأخذ يضرب أقدامه في الارض ويبكي..

الدادة: انزلي يا بنتي الجنينة.. وأنا سريعًا سأجهز بعض السندوتشات وأنزل بعدك إلى الكوخ..

عفاف: ثم ماذا حدث يا دادة؟!

الدادة: نزلت كاميليا ولم يطاوعني قلبي.. نزلت خلفها ويشهد الله أني سأروي ما حدث بالضبط..

بعد عدة أمتار.. سمعتها تتحدث.. مع ... لا أدري، أنا رأيت خيالاً.. قالت ستي كاميليا: كفاية يا عماد أعصابي انهارت.. ماذا تريد مني بالتحديد؟

وبعد برهة قليلة (كأن عماد رد وقال أريد.. الانتقام) فردت: من ماذا؟! أنا أختك الوحيدة..

وقبل الكوخ الموجود في وسط الحديقة تمامًا.. اندفعت كاميليا إلى داخل الكوخ.. أو لعلي رأيت من يدفعها دفعًا هي وابنها وائل.. وفجأة أغلق الباب الحديدي لسياج الكوخ من الخارج.. وكأن النيران كانت في انتظارهما في داخل الكوخ.. رأيت بعيني رأسي النيران تدخل عليهما من الخارج..

عفاف: كيف؟ كيف يا دادة؟ هل هناك أحد أشعل النيران في الكوخ؟ لم يكن هناك إلا أنت وسعداوي البواب الأقرب للكوخ.

- دادة حليمة: لن تصدقيني.. النار دخلت إليهما من الخارج.. كان هناك من يحملها.. لكني لم أره.. لا.. لا.. كان هناك من يمد له النار!

عفاف: ثم ماذا فعلتم؟

دادة حليمة: حاولنا قدر جهدنا أنا وسعداوي والخدم.. لكن النار أبت علينا أن تنطفئ.. وكانت النهاية الحزينة..

عفاف: وماذا قال الطب الشرعي والشرطة والدنيا كلها؟

دادة حليمة: الطب الشرعي أثبت أن كاميليا تعثرت في كابل كهربي وكانت الشرارة الكهربائية كافية لإشعال النار في الهيش والحشيش وقيدت الحادثة ضد مجهول..

لكن ذلك المجهول أصبح يعيث في الفيلا فسادًا وكأنه سيطر على أوصال الفيلا.. حتى تحول محمد بك إلى مريض نفسي.. وكاد أن يلقى مصير ابنه وزوجته كاميليا حتى جاءني يومًا.

محمد بك: دادة تعلمين ثقتي فيكِ.. وتعلمين ما يجري حولنا.. وأنا لا أستطيع أن أعيش حتى ألقى مصير كاميليا وابني وائل.. وأكره العيش هنا من دونهم..

وأخذ يبكي كطفل ضربه اليتم.. ذهبت به الدنيا كل مذهب..

الدادة: تماسك يا ولد.. كلها أقدار وخطوات كتبت علينا.. ومن كتبت عليه خطًا مشاها.. يا ولدي الرضا والصبر هما طريق الخروج من هذا الكهف المظلم.. أنا لم أتعلم لكني عركت مدرسة الحياة..

محمد بك: لا أستطيع يا دادة العيش في الفيلا.. بل ولا في البلد بأكملها، سوف أسافر ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا..

الدادة: والفيلا يا ولدي ومستقبلك؟ وأملك في أن تكون كاتبًا مشهورًا..

محمد بك: كل الآمال تبخرت.. لو استمرت حياتي في هذه الفيلا سأجن، سأترك لك بعض المال للقيام على أمر الفيلا.. وسنكون على اتصال..

عفاف: وبعد سفر محمد هل هدأت الأحداث؟

الدادة: هدأت تمامًا، إلا أننا فشلنا في عرض الفيلا للبيع بعد أن انتشرت الشائعات حولها أنها مسكونة، والحق يا ابنتي أنني ما أحسست يومًا أنني أعيش وحدي في الفيلا، ولم يدفعني الخوف يومًا إلى تركها.. أصبحت بما فيها ومن فيها جزءًا مني.. وأصبحت جزءًا منها..

عفاف: يعني لم أذهب بعيدًا حينما أخبرتكم أنني أحس بونس غريب هنا..

الدادة: صدقيني يا ابنتي هو الونس ده.. هو التعبير الصحيح.. هذه الفيلا كنا بنختم فيها القرآن كل يوم جمعة ثم يأكل الفقراء أطايب الطعام.. وتوزّع أكواب الشربات بعد صلاة الجمعة على أهل الحي..

عفاف: أنا بدأت أترعب يا دادة.. الخوف وجع مفاصلي.. نفسي أفوق من هذا الكابوس..

دادة حليمة: هذه الأرض ريحها طيب يا ابنتي لا تخافي، وأكثري من الاستغفار والتسبيح.. تصدقي بالله؟ يومًا من الأيام بعد سفر محمد بك حدث هذا الموقف:..

"فجر أحد الأيام.. قمت من نومي قبيل الفجر للوضوء وصلاة ركعات قبل الفجر.. حجرتي بجوار المطبخ.. وأمامها مباشرة باب التواليت.. وقبل أن أصل إليه كأني سمعت همسة.. تسبيحًا.. الله أعلم.. المهم ألفيت من خلفي مسبحة وقعت أمامي مباشرة.. تناولتها.. كانت مسبحة غريبة لم أرها في الفيلا من قبل.. ظلت تلازمني حتى أخبرت إحدى العجائز وكانت قريبتي تعمل في بيت مجاور.. قالت خيرًا ولكن احذري أن تخبري أحدًا.. يبدو أنك من أهل الخطوة والحظوة، وإلا اختفت المسبحة.. وفعلا بحثت عنها في كل مكان بعد ذلك فلم أجدها.. وأقسم بالله إني صادقة فيما أقول.. كثيرًا ما كنت أقع في الحاجة والعوز ولا أجد ما أقيم به

أودي ولا أجد مالاً لأمر ضروري.. فأفتح شنطة قديمة.. أو أضع يدي في جيب بالطو قديم.. إلا وأجد أكثر مما أريد من المال..

عفاف: أرجو الله أن يكتب لنا الخير في هذه السكنى..

وأخذت الأيام تمر رتيبة.. ولكن بين الفينة والفينة يحدث ما يعكر صفو الفيلا..

❊ ❊ ❊

٥

في ظهيرة أحد الأيام ينبعث صراخ شديد من حجرة الأولاد "أحمد ونور"..

جرت عفاف ومحمد بك ودادة حليمة إليهما.. كانا وكأن على رأسيهما الطير.. ينظر أحدهما للآخر ويشير للمرآة..

محمد بك: ماذا بكما؟

أحمد: رأيناه الآن..

محمد بك: من؟! رأيتم من؟

نور: عفريت!

أحمد: لا.. هذا تسمونه ونس.. كنا نمثل أمام المرآة وفجأة وجدناه خلفنا في المرآة.. لكن لم أعرف ملامحه، نظرنا خلفنا فلم نجده! نظرنا للمرآة.. وجدناه اختفى..

عفاف: وبعدين؟

محمد بك: الأولاد يقلدونكم.. وتكرر عنكم، ثم نظر للأولاد وقال: لا يوجد شيء اسمه عفاريت.. هذه خيالات النور في المرآة..

يبدو أن الستارة خلفكم تحركت.. فكان خيال المرآة..

نظرت عفاف إلى دادة حليمة.. وكأنها تريد أن تقول لها أخبرتني منذ قليل أن كاميليا كانت ترى خيال عماد بالمرآة..

محمد بك: في صوت أقرب للهمس.. لا تتحدثوا في هذه الأشياء أمام الأولاد..

خرجوا وتركوا الأطفال بعد أن قرأوا عليهم شيئا من القرآن..

وفي غداء اليوم التالي..

دار حديث ناعم ولطيف بين أفراد الأسرة التي يبدو أنها نامت قريرة العين.. فإذا بالطفل أحمد يقول:

سمعت ماما تقول كثيرًا إنها تشعر بأنها ليست وحدها في هذه الفيلا.. وأنها تحس دائما بونس.. ولقد رأيت أنا ونور هذا "الونس" ويبدو أنه يسلينا.. صباحًا بعد الإفطار كنا في الردهة الطويلة التي تؤدي للباب الخلفي الذي يفتح على الحديقة وعلى باب القبو..

نت ألعب بالعجلة.. وكانت أختي نور ترسم بألوان الماء.. وبينما ألعب وجدتها تصرخ..

نور: كلما رسمت.. أحس بمن يجلس أمامي.. يشخبط الورق ويسكب الحبر على الورق والأرض..

أحمد: وكلما ركبت الدراجة أشعر بمن يكون خلفي.. ويدفعني ببطء.. تركت الدراجة وذهبت لنور لأنظر ماذا بها..

أصدرت الدراجة أصواتا، كان هناك من يجلس على مقعدها.. جريت نحو الدراجة أحاول أن أحركها.. كانت ثقيلة وتسمرت في الأرض.. صرخت حتى جاءت دادة حليمة..

دادة حليمة: لماذا تصرخ يا أحمد؟

أحمد باكيًا: مش عايز حد يلعب معانا..

دادة حليمة: دعي أخاك يا نور.. وأكملي أنتِ الرسم..

أحمد: - مايزال يبكي – ليست نور.. مش عارف مين.. وجمت دادة حليمة.. وزاغت عيناها ونظرت أمامها وخلفها..

كانت دادة حليمة قريبة من السفرة.. فالتفت وقالت: نعم حدث ذلك لكني لم أرَ أحدًا.. ولم أشعر بأحد..

قالت عفاف: وماذا حدث بعد ذلك؟

أحمد: لما حاولت أن أكمل اللعب بالدراجة.. هناك من دفعني دفعًا شديدًا حتى كدت أقع..

نظر محمد بك إلى نور كأنه يتهمها لكن سريعًا ما بكت وألقت بنفسها في حضن أمها..

قال أحمد: لا.. ليست نور.. من كان يدفعني خرج إلى الحديقة..

عفاف: وهل رأيته؟

أحمد: لا.. لكني سمعت صوت الباب الذي يؤدي للحديقة يحدث صوتًا كأنه يغلق..

محمد بك استغرب الكلام كله.. وقال: كده بقينا أوفر..

أحمد: ولما عدت بعد فترة.. وجدت كاوتش الدراجة مقطوعًا، فلما بكيت قذفني أحدهم بهذه..

وأخرج من جيبه ميدالية ناولها للأم.. والتي بدورها وضعتها أمام الزوج..

الزوج: إنها ميدالية عماد.. وقد كانت في دولاب الفضيات الموجود بالردهة..

نور: انظري يا أمي.. وجدت شيئًا غريبًا..

خرجوا جمعيًا إلى الردهة.. وقبل أن يصلوا أضيء المصباح الكهربي الموجود بالردهة وحده.. نظر الجميع إلى المصباح وحاول الزوج والزوجة ألا يبديا أي اندهاش.. لولا المنظر الغريب الذي كان على الأرض..

الألوان المائية كانت مسكوبة من مكانها حيث كانت تجلس نور.. وينتهي عند الباب المؤدي إلى الحديقة وباب القبو وعلى الحائط كان مكتوبًا بخط واضح "عماد عاد لينتقم".. وكانت لحظة رعب لم يخفها أحد..

عفاف: كده الأمور واضحة.. عماد عايش.. وبيهددنا بطريقة صريحة.. لازم نبلغ البوليس.. وناخد كل احتياطاتنا..

محمد: لا نريد أن نفتح على أنفسنا أبوابًا لا نستطيع إغلاقها..

يكفي أن نأخذ احتياطاتنا ونزيد الحراسة مع سعداوي..

عفاف: محمد أنا قلقة على الأولاد وعلينا كلنا..

محمد: لا داعي لأي قلق أو خوف.. ولا داعي لأن نثير الأمر أمام الأطفال.. حاولوا أن تقطعوا هذا الروتين.. اخرجوا.. اذهبي مع الأطفال إلى السينما.. الملاهي..

لكنك تلمح في عيون محمد شيئا غريبًا.. لا يود التصريح به.. وإن كان القلق باديًا عليه والتعلثم باديًا في حديثه وكلماته.. وحتى نظراته..

عفاف: إذن أذهب وآخد شاور.. ثم أتحرك أنا والأولاد..

وجلس محمد في شرود ينظر إلى مجهول.. ويتحدث إلى مجهول:

"مالي أرى وتيرة الأحداث تبدو ساخنة؟ ماذا أفعل وماذا بعد يا عماد؟ وما تفسير ما يحدث؟"

وعزم على الذهاب للشيخ حسن.. في المسجد الكبير في الحي.. بعد صلاة العشاء..

وذهبت عفاف.. لتستعد للخروج بعد أن أخبرت الأطفال أنهم سيدخلون اليوم الملاهي الكبيرة وسيكون وقتا ممتعًا..

انتهت عفاف من الشاور وخرجت سريعًا تقف أمام المرآة لتمشط شعرها، غير أنها أحست بحركة غريبة في الحجرة ومن يضع رأسه بين كتفيها..

عفاف: روح البس يا أحمد حتى لا نتأخر..

وفي نفس اللحظة التي تجد ضفيرة شعر على كتفيها يطرق الباب الحجرة.. يفتح الباب فإذا أحمد.. تسمرت قدماها في الأرض كأنهما جذعا شجرة.. ونظرت فجأة خلفها وأطلقت صيحة سمعها القاصي والداني..

جاء محمد ودادة حليمة مسرعين.. "يا ساتر يا رب.. يا ساتر يا رب..

في إيه؟؟"

عفاف: لقد كان هنا.. لقد كان معي في الحجرة.. ووضع رأسه بين كتفيّ حتى ظننته أحمد يداعبني..

محمد: من؟ عمن تتحدثين؟ كفاية تخريف..

عفاف: أنا لا أخرف، لقد ألقى على هذه الضفيرة.. وضعها على كتفي بينما أمشط شعري..

محمد تناول الضفيرة وفجأة تغيرت ملامحه: إنها ضفيرة كاميليا.. تركتها قبل دخول المستشفى النفسي.. إنها كانت في كيس فوق الدولاب.. من وصل إليها؟ ماذا يجري في هذا البيت؟

هدّأت الدادة من روع عفاف وساعدتها أن تلبس وتخرج بالأطفال بينما خرج محمد صوب سعداوي البواب لينظر ماذا يحدث ويبحث في أمر تعلية الأسوار..

محمد بك: سعداوي.. أنا مش عايز الدبان الأزرق يهوب من باب الفيلا..

سعداوي: عيب يا بيه.. ده احنا نخدم على البوابة دي كابر عن كابر.. وعمري ما قصرت إلا يوم وفاة الست الصغيرة.. ست كاميليا.. حاولنا جهدنا بس كأن عالم سفلي ولع نار لا يمكن تنطفي..

محمد بك: لمحت أي شيء غريب في الحديقة طول مناوبتك الليلية؟

سعداوي: أبدًا.. حاجة من برة تدخل الحديقة على جثتي.. لكن..

محمد بك: لكن إيه؟ اتكلم.. في شيء حصل وأنا لا أعرفه؟!
سعداوي: شيء غريب كل يوم قبل الفجرية ألقاه بيتحرك بين القبو والباب الخلفي للفيلا.. أقرب لا أجد شيئًا أبعد أشوف الخيالات.. مش معقول أضرب نار على خيال..
محمد بك: سعداوي أنا عايزك تكهرب باب القبو.. ونعمل عليه باب حديد.. وتشوف حد يعلي سور الفيلا.. وتصلحوا كوخ الحديقة وطول ما الهانم وأولادها في الحديقة عنيك عليهم..
سعداوي: عيني يا محمد بك، وأتعامل مع الخيال ده وأجيبلك خبره، ده عهد مني..
محمد بك: أنا في الجامع الكبير.. وراجع بعد العشاء..
وتخرج عفاف وأولادها أحمد ونور في محاولة لاجتياز الوضع النفسي المتدهور.. وتبقى وحدها دادة حليمة مع بعض الخدم فهل يمر الوقت في سلام أم يحدث أمر يعكر صفو هدوء الفيلا؟
وبعد انتهاء الصلاة.. يجلس محمد مع الشيخ حسن.. يريد أن يفهم ما يجري حوله..
محمد: يا شيخ حسن "هل نستطيع أن نرى الجن؟"
الشيخ حسن: لا يا بني.. ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ**﴾..
محمد: يعني لا نرى الجن.. فهل يمكن أن نرى الأرواح؟ وهل ترانا الأرواح؟

الشيخ حسن: يا ولدي موضوع الرؤية ده موضوع كبير ومعجزة من معجزات الخالق سبحانه وتعالى..

كما قلت لك الإنسان عبارة عن روح وجسد.. وهناك سيطرة من الجسد على الروح والرؤيا تكون على مستويات.. هناك يا ولدي الرؤية كحاسة من حواس الإنسان.. تحتاج إلى قوانين وأسباب.. عين سليمة تنظر إلى شيء موجود ليس بينها وبينه حائل مع وجود إضاءة كافية وعلى مسافة معينة، فإذا لم تكن العين سليمة أو لم يكن هناك ضوء لا يمكن أن تتم الرؤية، هذا في حالة الرؤية في اليقظة..

أما الرؤيا في النوم فمنها أسباب أخرى غريبة.. في النوم تتحرر الروح جزئيًا من سيطرة الجسد فيرى في نومه وهو مغمض العينين.. ويرى على مسافات بعيدة، بل يرى شخصيات في بلاد أخرى.. بل ويرى أمواتًا سبقوا إلى الحياة الأخرى منذ زمن بعيد، ولا نستطيع أن ننكر على الإنسان ذلك أو نكذبه..

أما الرؤيا عند الموت فهي أكثر غرابة.. عند الموت تتحرر الروح بالكلية من سيطرة الجسد وينزاح ذلك الغطاء الطيني ﴿**فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾ ساعتها تكشف الحجب فيرى ملك الموت ويرى الملائكة وهم قادمون إليه بحنوط من الجنة أو حنوط من النار.. ويرى مقعده من الجنة أو النار.. وتبلغ الرؤية منتهاها بعد الحساب.. فإذا كانت الجنة يكافأ الإنسان

برؤية وجه ربه سبحانه وتعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ..

أما إن كانت الأخرى.. والعياذ بالله.. فإن الحرمان من رؤية وجه الخالق سبحانه وتعالى عقوبة فوق عقوبة النار ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ ..

أما أن الإنسان في الدنيا يرى الأرواح وتراه الأرواح فهذا أمر لا يستطيع أن يجزم به أحد.. لأن الأرواح وما يتعلق بها أمر من أمور الله لم يطلع عليه أحد.. وليس للإنسان أن يرهق نفسه في البحث فيه..

محمد: يا مولانا الأمور تعقدت في الفيلا.. وكل شيء يجزم أن هناك من يعيش معنا.. بل ويخطط للانتقام منا..

الشيخ حسن: يا بني.. رحمة الله وسعت كل شيء وهو سبحانه قادر على أن يغير في طرفة عين من حال إلى حال.. فقط عليكم بصدق اللجوء إليه والتوكل عليه وأن تلحو في الطلب أن يغير حالكم لأحسن الأحوال.. بالصدقة والزكاة والاستغفار والتسبيح، رحمة الله واسعة يا ولدي..

ويعود محمد إلى الفيلا ليجد في انتظاره مفاجأة من العيار الثقيل.. دادة حليمة في حاله انهيار كامل.. ممتقعة الوجه.. مرتعدة المفاصل.. زائغة العينين.. تهذي بكلام غير مفهوم.. وكأنها رأت جني مصباح..

دادة حليمة ماذا حدث؟ اهدئي.. أنا بجوارك.. استغفري الله وقولي ماذا حدث؟

دادة حليمة: محمد بك.. محمد ابني.. لسنا وحدنا في هذه الفيلا.. ودخلت في نوبة من البكاء.. يربت محمد بك على كتفيها..

اهدي.. اهدي..

دادة حليمة: بعد خروجكم.. أصبحت وحدي في الردهة.. قلت استريح ثم أقوم لأجهز طعام الغد.. كنت نعسانة وعيني ثقيلة لكني لا أستطيع النوم العميق.. حسيت بحركة في الردهة.. قلت أحد الخدم.. زادت الحركة.. قلت أشوف ماذا يجري خارج الحجرة..

فتحت الباب وجدت حجرة الخزين مفتوحة..

محمد بك: الحجرة دي حجرة عماد.. لكنها مغلقة بالمفتاح منذ سنوات..

دادة حليمة: أعلم أنها حجرة عماد.. من الذي فتحها؟ كلمت أحد الخدم.. جاء.. سرت على أطراف أصابعي أحاول الاقتراب من الغرفة.. دخلنا الحجرة.. الحجرة مقلوبة رأسا على عقب.. الدولاب مفتوح وكل الشماعات على الأرض والأوراق مبعثرة.. ملابس أراها تتحرك من مكانها.. لا أرى من يمسك بها، ثم صيحة تأوه طويلة..

آه.. آه..

هذا الصوت أعرفه، إنه صوت عماد.. أنظر حولي وخلفي.. عماد أين أنت؟ الخادم على الأرض.. الأرض لم تعد تحمل قدمي، وقعت..

غبت عن الوعي.. ولما أفقت كانت الملابس مبعثرة خارج الغرفة.. حتى السلم المؤدي لباب القبو.. لكن ما هذا الدم؟ وجدت الخادم لم يكن به خدش واحد.. أضاء الخادم النور.. كان مكتوبًا على الجدار **"عاد ليتنقم"**..

كان مكتوبًا بالدم..

محمد يا ابني في حاجة غريبة.. لازم نبلغ البوليس..

محمد: دادة أرجوكِ لا يجب أن يعلم أحد بكل ذلك.. بخاصة عفاف والأولاد، وإلا انهارت حياتي من جديد.. وأوعدك سنقوم بتبليغ البوليس في الوقت المناسب.. المهم نتصرف في القبو وباب القبو.. وياريت انتِ والخادم بسرعة حاولي إعادة الردهة لطبيعتها قبل عودة عفاف والأولاد.. دادة هل رأيتِ عماد فعلا؟؟

دادة حليمة: يا ولدي لم أرَ أحدًا.. كنت أرى ملابس تتطاير من حولي وأوراق تلقى على الأرض.. أكيد هناك من يفعل ذلك.. لكن زي ما يكون لابس طاقية الإخفاء..

محمد – يكلم نفسه – : ماذا أفعل؟ هو عماد رجع وموجود.. أم أنه لن يعود.. لماذا يفعل ذلك؟

ينظر للحوائط في الردهة.. الخط خط عماد.. لكن.. وسكت.. وجرى مسرعًا إلى الحديقة صوب الباب الخلفي للفيلا.. ووقف أمام باب القبو..

وأخذ ينادي: عماد.. عماد.. الباب كما هو من سنين طويلة مضت،

غير أن هناك آثار أقدام كثيرة على الأرض الطينية الطرية، وبينما هو يركز في آثار الأقدام لينظر بدايتها.. واتجاهها.. إذا بآهة قوية تصدر من داخل القبو تزلزل أركان الحديقة وتدفع به بعيدًا عدة أمتار..

قام مذعورًا و اذا يجري على غير هدي حتى وجد نفسه يرتطم بشيء و يقع مخشيا عليه تماما..

سعداوي: محمد بك.. محمد بك.. يا سنة سوخة.. وأتى بدلو من الماء سكبه على رأسه فقام مذعورًا يجري ثانية.. مين مين؟؟

سعداوي: محمد بك.. أنا سعداوي..

محمد بك: أنا فين يا سعداوي؟

سعداوي: إنت معايا يا بك في الحديقة..

محمد بك: لا لا.. لابد من هدم هذه الفيلا تمامًا.. هل رأيت أحدًا؟ هل سمعت شيئًا؟

سعداوي: سمعتك تتأوه بشدة.. جئت على الصوت.. رأيتك تجري مسرعًا..

محمد بك: نفذ ما اتفقنا عليه مهما كلفني ذلك.. هات شركة أمن تساعدك.. المهم هذا الأمر لابد أن ينتهي.. ولماذا أعمدة النور ليست مضاءة في الحديقة؟ أنا عاوز الحديقة نهار.. وبالذات الجزء الخلفي عند القبو.. وعند الكوخ الأوسط..

سعداوي: هناك مفتاح كهربي بجوار باب القبو.. سأذهب لأضيء النور..

ويذهب سعداوي وما هي إلا برهة.. إلا ويصرخ سعداوي..

سعداوي: دم يا محمد بك.. دم يا محمد بك.. هو انت اتجرحت..

محمد بك: لا لم أجرح.. أين الدم؟ وما هذا المكتوب على الحائط؟

سعداوي: وهنا كمان مكتوب شيء، أنا لا أقرأ.

محمد بك يذهب بجوار سعداوي على حذر.. دم يوجد على باب القبو.. ومكتوب " اذهبوا من بيتي إلى الجحيم.. عماد عاد لينتقم".

سعداوي: سيدي عماد عمره ما كان بالشر ده.. أكيد حصل له شيء وهو مختفي.. ربنا يستر.. ربنا يستر..

محمد بك: سعداوي أنت لم ترَ شيئًا.. ولم تسمع شيئًا ولم يحدث شيء.. ما هذا الصوت الذي يأتي من جهة البوابة؟

سعداوي: الهانم.. مدام عفاف والأولاد يدخلون من البوابة.. جهة سلم التراس..

محمد بك: حمدًا لله على السلامة يا عفاف.. يارب الأولاد يكونوا اتبسطوا وغيروا جو.. ادخلو وأنا لن أتأخر.. دادة حليمة بتجهز العشا.. حتى نجتمع جميعًا على العشاء..

عفاف: حاضر.. لا تتأخر..

❊ ❊ ❊

٦

أسرّ محمد بك إلى سعداوي أن يسهر ليلا ويدور حول القبو.. وأنه لن ينام وسيتابع من داخل الفيلا، واتفقا على أن ينهيا هذا الأمر الليلة.. صعد محمد واجتمعت الأسرة على سفرة العشاء، وللمرة الثانية يشعر الجميع أن هناك من يجلس على الكرسي الخالي في مواجهة محمد بك على رأس السفرة من الجهة الأخرى (كرسي عماد) وتضع دادة حليمة أطباق الطعام وتشعر أن هناك من يسحب بقوة طبق الطعام من يدها صوب الكرسي الخالي..

دادة حليمة تبتعد قليلا.. ويتلون وجهها.. أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم..

محمد وكأنه يريد أن يغير دفة الحديث والتفكير: عفاف هل لكم أي عداوات مع أهل المرحوم زوجك.. قد تكون بخصوص الأولاد مثلا؟

عفاف: أبدًا على العكس.. فقد وجدوا الفرصة سانحة ليتخلصوا من كفالة الأولاد ويلقوا عن أكتافهم عبئًا كان يثقل كاهلهم..

محمد: هل هناك أحد منهم يعرف عنوان الفيلا الآن؟

أحمد ينطق بعفوية: خالتي سميحة كانت تحمل معنا شنط الملابس.

عفاف: نعم.. سميحة بنت خالي جاءت عندنا مرة واحدة.. أنا فعلا بخاف من عينها وجوزها بيعمل والعياذ بالله أعمال..

أحمد وقد انتبه جيدا للحديث: يبقي تعزمي سميحة وجوزها عندنا.

عفاف: لا أفهم.. أنت رجل كاتب قد تكون ذا خيال عريض لكنك تحمل شهادة جامعية وأكيد لا تستوقفك هذه الخزعبلات..

محمد: هيا يا أولاد.. أكيد أنتم متعبون كثيرًا اليوم، حاولوا النوم مبكرًا.. ولا تنسوا آية الكرسي والمعوذتين.. هيا تصبحون على كل خير.. وذهب أحمد ونور إلى حجرتهما.

عفاف: أحس أن خلفك شيئًا تريد أن تصرح به..

محمد: ليس أمامي إلا أن أستعين بذلك الرجل الذي يعمل في الأعمال السرية..

عفاف: أنت يا محمد تقول ذلك؟

محمد: قديما كانت تحكي لي جدتي أن سيدنا أبا هريرة كان يعمل في بيت مال المسلمين، وفي ليلة أمسك بمن يسرق.. فقال السارق له إني فقير وذو عيال.. دعني.. فتركه سيدنا أبو هريرة - رضي الله عنه - ولما أخبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.. قال له الرسول سيعود الليلة.. وفي الليلة التالية جاء نفس السارق.. وأمسك به سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه.. قال دعني وأنا فقير وذو عيال كثيرة.. لما عاد إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بادره

بالسؤال: ماذا فعل أسيرك البارحة؟ فقص أبو هريرة ما حدث.. فقال صلى الله عليه وسلم: سيعود.. ولما كانت الليلة الأخيرة.. أمسك به سيدنا أبو هريرة وربطه في سارية بيت المال..

فقال السارق: ألا أعلمك كلمات تحفظك وأهلك من الشيطان الرجيم؟ اقرأ آية الكرسي دبر كل صلاة.. فك أبو هريرة وثاقه..

وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم: صدقك وهو كذوب، إنه الشيطان.. ولو لم تصدقه لأصبحت تراه ويراه المسلمون مقيدا في سارية بيت المال – أو كما أخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – وهذا يعني أنه من الممكن أن يرى الشيطان أو الجن..

قالت عفاف: الله وحده يعلم.. هيا بنا فأنا جد متعبة اليوم وسوف أحاول أن أدبر لك لقاءً مع زوح سميحة ولكن خارج الفيلا، يكفي الأولاد ما عرفوا وعانوا في الفترة السابقة.. أتمنى أن يكونوا بعيدين تمام البعد عن هذه المواضيع، وصعد محمد وزوجته عفاف إلى حجرة النوم.. وما إن دخلا حتى فوجئ الاثنان بجملة مكتوبة على زجاج الدولاب بالدم (اقترب يوم الحساب)..

أبدت عفاف فزعًا ظهر على تعبيرات الوجه والعين.. احتضنها محمد وقال "هوني على نفسك، اقترب فعلا يوم الحساب، وسوف تنتهي هذه الغمة عما قريب..

مرق ثعبان بسرعة من السرير إلى النافذة المفتوحة.. صرخت عفاف وقالت "كدة كثير"

قال محمد: نامي في حجرة الأولاد وأنا سهران هنا شوية.. أكتب بعض الكلمات قبل أن تهرب من ذهني..

ظل محمد يروح جيئة وذهابًا.. بين النافذة الأمامية والنافذة الجانبية.. ينقل بصره في الحديقة.. أما سعداوي فقد حمل بندقيته في وضع الاستعداد يجوب أرجاء الحديقة.. ويتنحنح بين الفينة والفينة.. ليعطي نفسه نوعًا من الثقة.. كنا في آخر الشهر العربي والسماء مظلمة والفيلا غارقة في الظلام بعد فشل سعداوي في إضاءة أعمدة النور..

وفجاءة بدأ نور جسم أثيري نوراني يخرج من القبو ويصعد درجات السلم المؤدي إلى الردهة الخلفية.. أطلق سعداوي عيارًا في الهواء..

نظر محمد من النافذة الجانبية التي تلمح القبو.. سعداوي يشير إليه صوب الباب الخلفي.. يستدعيه محمد بالإشارة..

أصبح سعداوي تحت النافذة وهما يتبادلان الهمس، يصدر صراخ عالٍ من حجرة عفاف والأولاد..

يجري محمد ويفتح لسعداوي الباب ويعدوان صوب الحجرة..

الباب مغلق..

يتعامل سعداوي مع الباب..

يفتح الباب..

عفاف وأحمد ونور يصرخون فوق السرير.. وهم يشيرون لمحمد وسعداوي، كاد سعداوي أن يضرب النار على الطيف خلف الباب.. إلا أنه أدار الباب سريعًا.. لم يجد شيئًا.. فقط بقعة كبيرة من الدم للذي كان يقف خلف الباب..

يحتضن محمد عفاف والأولاد.. يهدئ من روعهم..

عفاف تصرخ: الموضوع ده لازم يتقفل.. كان فيه إيه بينك وبين عماد يا محمد حتى يفعل كل هذا؟ أهو حي أم جن أم روح؟ حرام عليكم.. وسقطت مغشيًا عليها تمامًا..

جاء الطبيب ليناظر الحالة.. قال الطبيب: عفاريت إيه وجن إيه؟ بتخرفو؟! إنها هلاوس سمعية وبصرية.. نتيجة انهيار عصبي ورهاب وخوف من مجهول.. ولازم تغيروا نمط حياتكم كلكم بطريقة أو بأخرى.. وإلا فالأمور ممكن أن تصل لمرحلة لا تحمد عقباها..

محمد: تمام يا دكتور.. سنقوم بعمل اللازم.. ويخرج الطبيب ويُحكم محمد غلق الباب والنوافذ.. ويتحدثان هو وسعداوي في الردهة، الطريق المؤدي لباب يفتح على باب القبو.. إلا أنهما لاحظا نقاط الدم من باب الحجرة.. حتى نهاية الردهة.

نظر كل منهما للآخر باستغراب وتعجب شديد.. وخرجا إلى الحديقة.

سعداوي: وبعدين يا بيه؟ هنخلص من عماد إزاي؟ بيلاعبنا كأنه ابن جنية!

محمد: خلي عينيك مفتوحة اليومين دول.. على الحديقة وعلى الأولاد والهانم.. وأي همسة اضرب في المليان.. باكر إن شاء الله يأتيني ضيف وعايز أقابله في الكوخ وحدي.. بس يا ريت تحضر معايا..

سعداوي: أوامرك يا محمد بك.. إن شاء الله أجهز كل شيء من بدري.

❊ ❊ ❊

٧

عصر اليوم التالي..

تدخل سميحة ابنة خال عفاف.. معها زوجها أبو الكرامات.. ولدها الصغير كارم.. وبعد السؤال تدخل سميحة إلى عفاف، أما أبو الكرامات والولد الصغير فيصطحبهما سعداوي إلى الكوخ كما أمر محمد بك.. ويبدو أن اسمه "أبو الكرامات" جاء متماشيًا مع مهنة الرجل الذي يتعامل في السحر والأعمال والأحجبة والبخور..

وهو شخص أميل إلى القصر.. أصلع الرأس له عينان جاحظتان بصورة ملفتة للنظر.. يملك كرشًا يبدو أنه أنفق عليهالكثير.. يرتدي جلبابًا صعيديًا ويعقد على صلعته لاسة حمراء تحتها شال أبيض، وله لحية ينفر منها الذباب.. أما كارم فكان ملاكًا صغيرًا يمشي على الأرض.. أبيض الوجه.. أشقر الشعر.. أرزق العينين.. إذا ابتسم كان وجهه كالشمس المشرقة، وإذا حزن أطلق من عينيه كل ملائكة الجنة.. حتى تتعجب كيف يكون الرجل أبًا لذلك الملاك الطاهر.

دقائق ويصل محمد بك إلى الكوخ.. يسلم على الرجل بحذر ويقبل الطفل الجميل.. ويأمر سعداوي أن يدخل الطفل ليلعب مع أحمد ونور..

إلا أن الرجل أشار بالرفض، وأخذ الطفل بين رجليه..

أمر محمد بك سعداوي أن يحضر بعض البسكويت والعصير والشيكولاتة لكارم الذي ابتسم بطريقة جعلت محمد بك يقبّله بين عينيه.. ويربت على كتفيه..

محمد بك: تعمل وتتكلم أمام الولد؟

أبو الكرامات: إنه أداة عملي.. بدونه يتوقف كل شيء.. وأفقد مهارتي..

محمد بك (متعجبا): سنرى منك فعلا أم ستكتفي ببعض التمائم والأحجبة والخرافات؟

أبو الكرامات - بلغة الواثق من نفسه –: عيب يا بك إنه علم لدنيّ ورثناه كابرًا عن كابر.. ولا أتقاضى مالا إلا بعد أن أنجز عملي على أكمل وجه.

محمد بك: وما دخل هذا الكلام بالعلم؟ أم أن ذلك من قبيل تحلية السلعة في عين الزبون؟

أبو الكرامات - يتحدث كعالم ماهر –: هناك علم "الوساطة الروحية" وهو نوع من القدرات الخارقة لبعض الناس.. يمكنهم من اقتحام عالم وراء المحسوسات أو (الباراسيكولوجي).. قبل عام ١٨٤٨ كانت كل الظواهر الغامضة والخارقة تنسب إلى قوة ما وراء الطبيعة وما هي إلا أشباح وشياطين تعبث بالناس.. ثم حدث في أحد المنازل شيء عجيب يتميز بالرعب والفزع والغموض.. شقيقتان من عائلة هذا المنزل.. كانتا تستطيعان رؤية الأشباح.. وهي تعربد في

أنحاء البيت.. وتفتح النوافذ والأبواب والأنوار وتغلقها بشدة وفجأة، وتصدر ضحكات هستيرية وصرخات مدوية ورهيبة، ولا يحدث هذا إلا في ظلام دامس..

وتكررت هذه الظواهر بين ١٨٤٨- ١٩٨٨مما فرض نوعًا من الاهتمام ببعض الوسطاء الذين يملكون قدرات غامضة وخارقة ومثيرة.. وانتشرت الجمعيات التي تدرس ظواهر الباراسيكولوجي.. وتحدد أنواع الوساطات الروحية التي ظهرت بصورة خارقة في بعض الأشخاص.. قد تكون هذه الوساطات بصرية لأشخاص يمكنهم رؤية الأرواح والأطياف والأشباح..

وقد تكون وساطات خطية حيث تجيب الأرواح من خلال الوسيط كتابة.. أو وساطات سمعية حيث يسمعنا الوسيط أصوات الأرواح والأشباح بدقة.. أو بالتقمص.. حيث تتقمص الأرواح جسد الوسيط بالكامل.. وهي أرقى أنواع الوساطة الروحية.. وكان عجيبا أن تسمع هذا الكلام من هذه الهيئة البشرية..

كان سعداوي يقف مستندا على سلاحه الناري.. فاغرًا فاه مما يسمع ولم ينبس ببنت شفة..

محمد بك: لالا.. إيه المحاضرة دي؟ أنا لا عايز أسمع ولا عايز أشوف ولاعايزك تحضر لي عفاريت وأرواح.. إن كل ما أريده أن تشرح لي ماذا يحدث ثم تنجيني أنت من هذا الشخص أو الروح أو الشبح.. دعني أولاً أسألك.. ما دور هذا الطفل؟!

أبو الكرامات: أوه.. إنه يقوم بكل العمل.. وهو أهم شخص في الموجودين في هذا الكوخ.. معذرة إن أسأت الأدب..

محمد بك: لا لا.. لا يهمك شيء..

وبدأ محمد يشرح لأبي الكرامات ما يحدث في الفيلا.. ومايجري في الحديقة.. وحالة الفزع والرعب التي يعيشها الجميع.. والدم الذي ينتشر في كل مكان.. وموضوع الصور..

محمد بك: سعداوي.. حاجة ساقعة وعصير للولد.

أبو الكرامات: لا يا بك.. فقط أريد كوبا من الماء لنبدأ العمل..

محمد بك: طيب.. أريد أن أفهم.. ماذا ستفعل؟ أهو تحضير أرواح أم..

أبو الكرامات: لا يا بك.. إنه نوع من الوساطة الروحية.. والوسيط هنا هو ابني "وأشار إلى الطفل الصغير" الوسيط سيملأ الكوب..

سأتلو بعض الكلمات.. قد تحدث بعض الأشياء.. كأن تتطاير الوسائد أو الأكواب.. لا تخشَ شيئًا.. لأن معنى هذا أن الشخص الذي نريده قد حضر..

محمد بك: حضر!! أين يحضر؟ قلت لك لا أريد أن أرى أحدًا أو أسمع أحدًا، كل ما أريد أن أعرفه من الشخص..

أبو الكرامات: إن شاء الله سيحدث.. الوسيط لا يعرف أسماء الأشخاص لكن سيعرف لنا أوصافه.. وعلامات ظاهرة فيه.. حتى تعرف أنت من هو..

محمد بك: وسيعرف الوسيط ذلك مهما كان الشخص ميتًا أو حيًا أو روحًا؟! كل ذلك سيعرفه هذا الطفل البريء؟!
أنت تهذي أم تضحك علينا؟
أبو الكرامات: انتظر وسترى.. وبدأ يتحدث همسًا بألفاظ ليست في القواميس العادية، ويقسم عليها بكل قوى الخير أن تكشف عن نفسها.. والطفل يمسك بالكوب بكلتا يديه.. وينظر فيه.. تكاد عيناه لا تتحركان..
وارتفع صوت أبي الكرامات بالنذير والتحذير شديد اللهجة..
محمد بك: أحس برفيف الأشجار يزداد حدة.. حتى أصبحت أسمع لها زئيرًا.. تعوي الريح كأنها تنذر بعاصفة وبرقت السماء..
أبو الكرامات: أقسمت عليك بجبار السموات والأرض وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا.. ماعلمنا وما لم نعلم وما هو به أعلم..
أقسمت عليك باسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى.. وإذا دعي به أجاب.. أقسمت عليك بالله الواحد الأحد الفرد الصمد.. الذي لم يلد ولم يولد.. ولم يكن له كفوًا أحد إلا حضرت الآن..
وتغيرت هيئة أبي الكرامات.. وتكور وجهه وازداد جحوظ عينه، يقول سعداوي ومحمد بك حتى كدنا نجري ونترك المكان رعبًا، وفجاة صرخ أبو الكرامات: حضر.. حضر.. حضر، ثم جثا على ركتبه وبكى حتى نزلت دموع عينيه تبلل وجنتيه ولحيته وتقطر منهما على الأرض..

أبو الكرامات: كارم.. ماذا ترى على سطح الماء في الكوب.. تحقق واهدأ يا ولدي..

كارم متلعثما.. خائفًا: أرى من يخرج من القبو يحمل سروالاً يقطر منه الدم.. يصعد درجات السلم.. يدخل من الباب الخلفي للفيلا..

وهنا يستدير سعداوي ومحمد بك صوب باب الفيلا..

محمد بك: من؟ من يا رجل؟

أبو الكرامات: ماذا يلبس؟

محمد بك: لا.. لا.. لا تصف.. لا تصف..

وهنا تنطلق ضجة مرعبة تصم الآذان.. يضع سعداوي ومحمد بك أيديهما على آذانهما.. من شدة الصوت.. ويغشى على الطفل.. كان الظلام قد حل وبدأ ينشر البوابة السوداء على الأرض.. وينطلق صراخ بشري هذه المرة من داخل الفيلا.. جرى الجميع؛ سعداوي ومحمد بك وأبو الكرامات. وخلفهم الطفل إلى داخل الفيلا.. حيث مصدر الصوت.. وإذا بسميحة وجهها للحائط ويداها مرفوعتان كأنها التصقت بالحائط.. يحاول سعداوي وأبو الكرامات معها أن تستدير.. فاستدارت وأطلقت صيحة بشرية رجولية.. وعيناها جاحظتان، وأمسكت بعنق زوجها أبي الكرامات..

أبو الكرامات أوقعها أرضا وأوسعها ضربًا: اتركها يا لعين، اتركها وإلا أوسعتك ضربات وأحرقتك، حتى دخلت سميحة فيما يشبه

الغيبوبة.. ولما أفاقت بكت دقائق لزوجها: سوف تؤذينا أنا والولد.. كفى يارجل.. اترك هذه الأعمال وتب وعد لربك.

وكانت أمسية صاخبة.. أنزلت الرعب بالجميع.. واستقر في عين محمد أمر كان من الواضح أنه يحاول أن يخفيه عن الجميع.. وقبل أن يغادر أبو الكرامات.. نصح بأن ينشر في كل أركان الفيلا ماء البحر ويطلق البخور باستمرار.. واستقر في بال محمد بك أن يغلق باب القبو تمامًا بالحديد والأسمنت..

الغريب أن الصياح القادم من باب القبو ازداد قوة وحدة، لكن الأغرب أن هذا الصياح لا يسمعه إلا محمد بك.. الذي خرج سريعًا من الفيلا لا يلوي على شيء إلا الابتعاد عن مصدر الصوت.. وطلب من الجميع أن يتواجدوا في الكوخ حتى يعود.. وشدد على سعداوي أن يبتعد عنهم.. جلس الجميع في الكوخ.. يتحلقون حول جهاز تسجيل يتلو سورة البقرة ودعاء ختم القرآن.. وكلهم يؤمّن على الدعاء..

دادة حليمة: لا ندري ماذا يحدث.. البركة خرجت من البيوت والناس ابتعدت عن الله.. وكرهت الموت ولقاء الله..

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

وفجأة انطفأ نور الفيلا.. جلسوا جميعًا وكأن على رؤوسهم الطير تلهج قلوبهم بالدعاء أن يرفع الله هذه الغمة..

زمجرت الريح.. وازداد حفيف الأشجار.. وكأن باب القبو انفتح ليخرج جسمًا نورانيا.. أحاطت به كل الأجسام.. كانه احتفال بانتصار تحقق، فلأول مرة تخلو الفيلا من ساكنيها.. ويصبح هو ساكنها الأوحد.. عادت الأنوار للفيلا مع عودة محمد بك.. صعد الجميع فإذا بجميع حوائط الفيلا مكتوب عليها بالدم الأحمرالقاني "غدًا الحساب".

محمد: بل غدًا ننهي نحن الأمر..

خضع الجميع للنوم والراحة.. كانوا جميعًا متعبين.. قسّموا أنفسهم .. محمد وعفاف لزما حجرتهما.. دادة حليمة مع الأولاد في حجرتهم.. سعداوي في الردهة عند السلم المؤدي للباب الخلفي المشرف على باب القبو..

تعمد محمد ألا يتكلم في الأمر تمامًا.. كفاهم ما لقوا في هذا اليوم وهذه الليلة.. والغريب أن داعي النوم ناداهم سريعًا سريعًا.. ورغم النوم فالأنفاس لاهثة وضربات القلب مضطربة.. وبين الحين والآخر تشعر برعدة تسري بالجسد يهتز لها الفراش وكأن حية لسعتهم..

ورغم أن الحجرة كانت غارقة في ظلام دامس..

إلا أنها أضاءت فجأة..

محمد: لا لا أريد أن أموت.. ماذا تريد منا؟ كفى ما أصابنا..

الطيف: أنا لا أريد إلا القصاص.. العين بالعين.. والسن بالسن.. ثم أريد قبرًا، أما آن لهذا الجسد أن يضمه قبر؟

أما قضى الله أن الجزاء من جنس العمل؟

محمد: أنت السبب فيما آلت إليه الأحوال..

الطيف: دعك وما حدث.. الظلم ظلمات.. والحساب عند الله يوم ينادي على الظالم والمظلوم على رؤوس الأشهاد.. أيها المظلوم تقدم (لا ظالم اليوم إن الله سريع الحساب) فيقوم الظالم يدفع عن نفسه.. فيقول له المولى سبحانه وتعالى: أيها الظالم لاتتكلم

﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۞ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾

يتغير وجه محمد.. وترتعد فرائصه..

الطيف: تعجلتم الأمر.. ولو صبرتم لصار إليكم بغير دم..

يرتعد محمد ويهتز السرير أكثر..

ويهذي: لا.. لا.. عايز يقتلني.. قتل ابني.. قتل مراتي.. وتتفصد جبهته عرقًا باردًا.. وتصطك أسنانه..

عفاف تقوم وهو في هذه الحالة: محمد.. محمد.. ماذا بك؟ مالك تهذي وما كل هذا العرق؟ سعداوي.. الدكتور سريعًا يا سعداوي..

تحاول عفاف تخفيض الحرارة ببعض الكمادات وقليل من الماء الدافئ بالعسل الأبيض.. وهو ينظر إليها على غير هدى.. ثم ينظر أمامه (حيث الطيف الذي كان يتحدث).. ثم ينظر حوله بقلق

ظاهر..

عفاف: يبدو أنك كنت تعيش كابوسًا صعبًا..

محمد: لا أدري إن كان كابوسًا.. حلمًا أم رأيت شيئا حقيقيًا أمامي.. الله أعلم..

وأضاف محمد: هل النوافذ محكمة الغلق؟

عفاف: نعم.. وسعداوي كان بالباب لم يغادره.. وحضر الطبيب..

وبعد الكشف الإكلينكي قال: من الناحية الطبية أنت في أتم الصحة والعافية.. غير أني ألمح ذلك العرق الشديد البادي في عينيك.. والضربات المتسارعة لعضلة القلب.. ماذا حدث؟

محمد: كابوس.. كابوس يا دكتور.. هل ممكن أن يرى الإنسان طيفا يحادثه ميتا يقف أمامه بكامل هيئته؟

الطبيب: عالم الأرواح عالم سحري.. لكن الروح من أمر ربي.. ولا أدعي أو يدعي غيري أننا نعلم كنهه وتفاصيله، غير أن لي بعض التجارب قد تجيبك على سؤالك..

أولاً: أعطه يا ابنتي هذه الحقنة وهذا الدواء.. حتى يهدأ..

وأنا اقص عليك أمرًا أغرب من الخيال..

كنت طبيبًا صغيرًا.. وكانت هناك مريضة في منطقة من العشوائيات..

بيت مدخله غريب.. من بيوت الفقراء..

وكانت مريضتي بالطابق العلوي وحتى أصل لابد من المرور على فناء واسع به بعض الحجرات.. بعضها متهدم وبعضها مهجور.. وكان بالفناء حوض من الماء.. مبني بالطوب.. وكثيرًا ما كنت أعود مريضتي العجوز التي تعاني مجموعة من أمراض الشيخوخة.. وكلما دخلت البيت أجد عجوزًا غبراء شعثاء تكشف عن شعر أشيب.. يمتلئ وجهها بالأخاديد.. إلا أنه لايخلو من جمال غارب، تتمتع بملامح هادئة وابتسامة طيبة من الزمن الجميل.. أراها فتبادرني: يصبحك ويربحك ويحسن ما بين أيديك ويجعل الناشفة في إيدك خضراء..

تعودت عليها.. حتى كان ذلك اليوم.. أضحك مع مريضتي وأقول لها:

- لولا وجهك الجميل ودعوات الست الطيبة في الدور الأرضي ما حضرت إليكم أبدًا..

قالت مريضتي: وهل رأيتها؟ قلت: مرارًا.. قالت بعد أن نظرت لكل المحيطين بها نظرة تعجب: كانت أصيلة وجميلة العشرة.. الله يرحمها توفيت منذ خمسة عشر عامًا..

محمد: يعني من الممكن أني أرى حد مات؟ أقصد روح حد مات أو شبح حد مات؟

الطبيب: أكثرمن كدة، الروح بتحس وبتتأذى لأذي وقع لأحد معارفها.. فما بالك إذا كان الأذى وقع على صاحب الروح نفسها!

محمد: يعني تقصد إن الروح ممكن تنتقم؟

الطبيب: كنت يومًا متعبًا.. فإذا بتليفون. وكان على الجهة الأخرى فتاة تصرخ.. دكتور أمي مريضة جدًا أرجوك بسرعة.. لبست على عجل وجهزت الشنطة ونزلت، وأنا بالطريق يأتيني تليفون آخر..

"أرجوك استعجل يا دكتور.. الحالة اللي فوق الفرن والمكتبة بجوار صلاح النجار.. تعبانة جدا" .. "ياجماعة والله بلغوني"، قلت في ضيق شديد: ولما وصلت كان الباب مفتوحًا.. وكانت الحالة تتأوه من ألم شديد بالصدر.. وجبينها يتفصد عرقا باردًا..

شخصت الحالة بمجرد النظر، أزمة قلبية، ومع الإسعافات الأولية وحقن وأقراص تحت اللسان.. الحمد لله.. نظرت للمريضة.. تشبه أمي كثيرًا.. قالت: من أرسلك؟ قلت: ابنتك! نظرت إلى صورة فوق سريرها وبكت: الله يرحمها.. رفعت نظري للصورة.. كانت فتاة في العشرينات.. تلبس حجابًا أبيض فوق زي أزرق اللون.. لم أعِ ما يحدث، ممكن صورة يا حاجة؟ انتي شبه أمي كثير.. ونزلت.. في الطريق وجدت شيئًا أغرب من الخيال.. فتحت الموبايل.. معرض الصور.. هي.. أمي تمامًا وفوقها صورة ابنتها، الغريب.. أنه كان بجوار المريضة على السرير فتاة في العشرينات من عمرها ترتدي حجابًا أبيض فوق زي أزرق اللون..

(كانت روح ابنتها).. "الروح يا ابني بحر عجيب.. لكنها أمر من أمور الله.. لا تسأل عنه أحد.. أحست روح الفتاة بأزمة أمها وأرادت أن تفعل شيئًا لتنقذها بدافع الحب..

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أنزل كل همك بالله يزول الهم.. هدأ الجميع وأصبح محمد بك في حالة نفسية هادئة بعد الحقن المهدئة.. وبعد هذا الكلام الجميل، ونصح الطبيب بأن يعودوا هم لزيارته مرة أخرى.. ومر يوم آخر من الأيام العصيبة على أهل هذه الفيلا.. التي أصبحت تعرف بفيلا الأشباح.. وإن حاول أصحابها نفي هذه الفرية تمامًا..

وفي صباح اليوم التالي تبدو الأمور طبيعية تمامًا.. وإن تحولت الحديقة إلى ما يشبه الثكنة العسكرية.. جاء أفراد الأمن الجدد وداروا هم وسعداوي.. على كل أركان الحديقة من الداخل والخارج.. وبدأ العمال في تعليق الأسوار بالأسلاك الشائكة.. وأحمد ونور استغلا هذه الفترة من الأمان وأخذا يركضان خلف الطيور والعصافير تراقبهما عفاف من تراس الفيلا الأمامي.. وعيونها تدور في رأسها ذات اليمين وذات الشمال لا تترك شاردة ولا واردة.. خرج محمد بك لأمر في نفسه بعد أن وطن نفسه على نزع فتيل الأزمة تمامًا.. تظاهر محمد بتليفون جاء من مصلحة الأمن العام.. يفيد بالعثور على جثة عند الأسوار الخلفية للفيلا والواقعة على طريق ترابي غير مأهول.. ويطلبون أحد أهل الفيلا للتعرف على الجثة.. وجدها محمد بك فرصة للخروج من المأزق وحالة الشك التي انتابت أهل الفيلا بالكامل.. عاد بعد عصر ذلك اليوم ليخبر

الجميع أن الجثة.. جثة عماد وأن تاريخ الوفاة لم يمضِ عليه أكثر من ثلاثة أيام.. ويبدو أنه صاحب كل الأعمال الشيطانية التي حدثت في الفيلا بغرض التخلي عنها.. وأن رصاصة من رصاصات سعداوي في الليلة قبل السابقة قد أصابته.. وأنه وسعداوي مطلوبين للشهادة لغلق باب المناقشة في الموضوع.. وتجهيز الجثة للدفن بعد العرض على الطبيب الشرعي، ويبدو أن الخبر كان له وقع طيب على أهل الفيلا.. فلقد انتهى كابوس ثقيل ظنوه لن ينتهي.. إلا دادة حليمة التي بكت طويلا لما علمت بالخبر.. وانتحت جانبًا تولول وتذكر الباشا والحاجة وأصحاب الفيلا..

محمد: ما يبكيكِ يا دادة؟ أخيرًا سيستريح الجميع.. وتهدأ أوضاع الفيلا..

الدادة: إنه ابني يا ولدي.. وقع في حجري هذا وتربى على عيني وما رأيت منه شرًا قط.. ولا أدري حتى الآن ما الذي حدث ليتحول إلى هذه الصورة.. الأمر لله يا ولدي.. وقع أمر الله وهو الآن بين يدي خالقه.. ولا تجوز عليه إلا الرحمة.. واذكروا محاسن موتاكم..

أما عفاف فلم تستطع إخفاء فرحتها.. لا بموت عماد لكن لانتهاء كابوس لا ذنب لهم فيه.. وبينما الفيلا تستعد لتطوي هذه الصفحة كان للأحداث رأي آخر.. وأضاءت أنوار الأعمدة الموجودة بالفيلا..

وتحولت الحديقة إلى نهار مسفر مضيء، وانتشر العمال على الأسوار.. ينهون أعمالهم.. وجلست عفاف ومعها محمد بك.. وعلى

مقربة دادة حليمة وقد اتشحت بالسواد.. بينما أحمد ونور في الحديقة، وفجأة تجد عفاف أن أحمد ونور افترقا.. وكأنهما يفران من شيء.. هو يجري ذات اليمين وهي ذات الشمال.. ثم بدأت تسمع صياحهما.. إنهما يحاولان الإفلات من شيء لا تراه..

عفاف: أدركني يا محمد.. هل ترى ما أراه؟ ونزلت تجري صارخة:

- أحمد.. أحمد..

محمد بك: عفاف انتظري.. سعداوي.. سعداوي.. أين أنت ورجالك انظروا معي هذا المشهد الغريب العجيب..

الأولاد كل يجري إلى جهة.. عفاف موزعة بينهما.. لا تدري ماذا تفعل.. فجأة تجد أحمد يبكي بشدة..

"إنه على الأرض.. هناك ما يسحبه ويجره صوب القبو".. تجري عفاف تأخذ بيده..

"ما هذا؟" ..

شيء يريد أن ينتزعه من يديها انتزاعًا..

تصرخ.. تحاول.. تنجح.. تجري به إلى الجهة الأخرى.. حيث نور.. ثلاثتهم يجرون ويصرخون.. تشعر عفاف أن تيارًا غريبًا يجري خلفهم.. كان له نطاق مغناطيسي.. المفاجأة شلت الجميع.. محمد لا يدري أين يذهب.. ماذا يفعل؟ فقط يجري خلفهم ويصرخ:

"سعداوي.. سعداوي"

الدادة في التراس.. تحوقل.. وتدعو الله.. "لا حول ولا قوة إلا بالله..

ماذا يحدث؟ القيامة قامت يا أولادي.."

مازالت عفاف تجري، إنها تجري صوب الكوخ.. تذكر محمد.. تتذكر دادة حليمة.. إنه نفس المشهد القديم.. مشهد كاميليا.. وهي تحاول حماية ابنها من مجهول يجري خلفهما.. أيكون هو هو نفس المجهول؟؟

تجري عفاف.. ولداها في كنفها.. تقع.. تقوم.. تقترب من الكوخ.. وقبله بعدة أمتار تشعر كأن التيار تحول إلى تيار دافع.. يندفع بهما صوب الكوخ.. لحظة وأصبحوا داخل الكوخ..

انظروا هذا المشهد العجيب.. باب الكوخ يغلق عليهم من الخارج.. "محمد.. محمد.. يجري محمد من الجهة الأخرى.. يقف الجميع يقتربون بحذر من الكوخ.. يتحلقون "محمد بك.. سعداوي.. رجال الحراسة.. العمال" اللحظة عصيبة يقترب أحد رجال الحراسة يقدم قدمًا ويؤخر أخرى.. يحاول فتح الباب الحديدي.. إنه شديد الإحكام.. كأنه مفتوح لكن هناك قوة جبارة تدفع من الجهة الأخرى..

ما هذا؟ نار.. نار حقيقية تقترب من الكوخ.. أزفت الآزفة.. وهي فعلا ليس لها من دون الله كاشفة.. النار تجري صوب الكوخ سريعًا..

والجميع يجري في نفس اللحظة صوب الباب.. يحاولون دفعه..

فكر سعداوي في استخدام خرطوم ماء الحديقة.. ريح ساخنة تزأر وكأنها تخرج من داخل وحش مجهول.. دبت النيران في الكوخ..

والجميع في لحظة واحدة يدفعون الباب.. ياجبار السموات والأرض.. ينطقها أحد الرجال.. ينفتح الباب.. يسحبون عفاف والأولاد.. وقد أشرفوا على الاختناق.. محمد ينادي على عفاف..

- عفاف.. عفاف.. أحمد.. نور..

وجاءت دادة حليمة.. يا ستار يا رب.. يا كريم يا رب.. يا من حفظت إبراهيم في النار وحفظت إسماعيل تحت السكين.. وحفظت محمدًا في الغار (صلى الله عليه وسلم).. تبكي.. يبكي محمد.. يأتي صوت عفاف.. وكأنه قادم من جب عميق.. محمد أين أحمد ونور أولادي؟

محمد.. بكاء وفرح..

محمد: إذن أنتِ بخير.. صدقيني الأولاد بخير..

الدادة: اطمئني يا ابنتي كلكم بخير.. ستر الله فوق الجميع يا ابنتي.. إذا كان الله معكم.. فمن عليكم؟

كان الجميع منهكين جسديًا وكأنهم خرجوا لتوهم من حرب شديدة الهول.. ساعدت دادة حليمة والخدم عفاف والأولاد.. و قام سعداوي باصطحاب محمد بك حتى غرفته.. صنعت دادة حليمة سريعًا بعض الحساء الساخن.. وتحلق الجميع حوله في الهول الكبير.. وحولهم بعض الرجال الذين يقومون بالحراسة..

عفاف: محمد ما تفسير هذا المشهد الذي حدث أمام الجميع؟ وما معنى حدوثه بعد اكتشاف جثة عماد؟

إني في غاية الرعب.. أريد أن أفهم..

محمد: دعونا نسترح أولاً.. وننتهي من موضوع الجثة.. "وكأنه مصر على إخفاء شيء بداخله" هذا الشيء الذي هو مفتاح حل اللغز كله.. حملت دادة حليمة الأولاد نيامًا إلى حجرتهم وبقيت معهم واحدة من الخدم.. وراح محمد في سنة من النوم على كنبة الأنتريه في الهول.. جلست دادة حليمة وعفاف.. تراجعان معًا ما حدث على مدار الأيام السابقة.. تحاولان ربط الأحداث.. والخروج بشيء مفهوم.. هل هذا جن؟ هل هذا سحر؟

كان محمد بك في مرحلة ما قبل النوم العميق.. لكنه كان مضطربًا وكأن به مس من الجن.. ثم يصرخ بصوت مكتوم.. ويزوم.. ويبكي بدون صوت.. وتنزل دموعه على وجنتيه غزيرة.. تنظر دادة حليمة وتمسح صدره وهي تقرأ المعوذتين.. وتتعوذ.. أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة.. ومن كل عين لامة.. بسم الله وحده أرقيك من كل شيء يؤذيك ببركة اسم الله الأعظم..

دادة حليمة: إنه يتعارك مع نفسه وأحس أنه يخفي شيئًا عظيمًا.

عفاف: أنا لم أعد أفهم شيئًا يا دادة.. هل هذه أرواح؟.. جن.. سحر مدفون في الفيلا.. هل هو بعد عن الله؟ ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**﴾

دادة حليمة: انظري إليه.. هزة الجسد هذه هي عراك داخلي بين الإنسان وروحه، هي هروب من واقع نحياه إلى حقيقة.. تغيب عنا وتغيب عنها..

يا ابنتي هل تعلمين؟ إن كل واحد منا يجب أن يقف مع نفسه وقفة يومية.. أسبوعية.. شهرية.. هي وقفة للحساب.. حتى لا يجرفه تيار التيار وينسى الموت.. والقبر.. ولقاء الله والميزان والحساب والجنة النار..

عفاف: فعلا يا دادة.. الدنيا غطت على عيوننا فلم نعد نرى إلا تحت أقدامنا..

دادة حليمة: يا ابنتي كان سيدنا عمر بن الخطاب ينصح ويقول.. حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم.. وتهيأوا للعرض الأكبر.. "يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية".. لم نتعود حساب النفس.. وعتاب النفس إن أخطأت..

مجاهدة النفس حتى لا تقع في الخطأ..

واهتز محمد اهتزازات عنيفة.. كمن مسه مس من الشيطان.. تخبط في نومه.. يتخبط في مشيته..

عفاف: نوقظه أم نتركه يعاني ذلك بإرادته؟

دادة حليمة: ارقيه بالمعوذتين يا ابنتي.. فلا يستغني أحد عنهما قط.. ولهم تأثير خاص في دفع السحر والعين.. وسائر الشرور.. فقد كان رسول الله يتعوذ من الجان وعين الإنسان.. حتى نزلت المعوذتين.. فلما نزلتا.. أخذ بهما وترك ما سواهما، إن هذه أحاديث صحيحة يا ابنتي.. وثبت أنها تصرف الشيطان.. وياريت يا بنتي أن تعودي نفسك وأولادك على قراءة المعوذتين بعد كل صلاة.. فهي

تدفع الشياطين والشرور من الصلاة إلى الصلاة وللسلامة من السحر والعين بل تكفيه من كل شيء..

عفاف: كل شيء يا دادة؟

الدادة: نعم يا ابنتي، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "كفته من كل شيء" الشياطين.. الأمراض.. الحوادث.. المفسدين بالعين..

عفاف: لاتدرين كم أسعدني كلامك يا دادة وسكب الطمأنينة في نفسي..

الدادة: يا ابنتي بهما أنتِ تحمين نفسك من شر ما خلق.. من شر الغاسق.. من شر النفاثات في العقد والسحر والسحرة.. من شر الحاسد.. من شر الوسواس الخناس.. من الجِنة.. من الناس وعيونهم ومن الأمراض النفسية والاكتئاب..

فجأة أخذت رعدة عنيفة تسري في جسد محمد بك ثم صرخ صرخة شديدة.. وقام من نومه فزعًا وهو يردد: لا.. لا.. أريد أن أعود.. اقبلني يا رب..

عفاف تربت على كتفه وتعطيه بعض الماء:

- مالك.. اهدأ.. لعله كابوس..

محمد باكيًا: لا.. ليس كابوسًا.. إنها رسالة.. رسالة من الله.. رأيت فيما يرى النائم.. أنني على الخط الفاصل بين الحياة والموت.. أنظر إلى نفسي.. فإذا بي أقف نصفين.. نصف من لحم وعضم..

ونصف من تراب.. أنظر بالجانب الترابي.. أرى كاميليا.. وابني وأبي وأمي.. يشيرون لي بأن تعالى عندنا..

ثم أنظر بالجانب البشري أرى عفاف وأحمد ونور.. وكل من يعرفني.. يبكي ابق معنا.. أتحول بين الجانبين.. وما هذا الذي أحمله على ظهري؟ قالوا ذنوبك.. بكيت وطلبت المغفرة.. في حياة كل منا معصية تؤلم قلبه.. وتقض مضجعه ويبث الشيطان اليأس في نفسه من تركها.. ولا أزال أجاهدها وأحتمي بحصن التوبة.. وأحسست في هذه اللحظة أنني لا أزال بخير.. أنتظر لحظتها من قلبي لحظة أجد الله قبلها في قلبي.. أريد أن أرتقي مناصب الحب.. ومراتب القرب.. صدقوني أتمنى من قلبي ترك المعصية.. والتوبة والندم..

عفاف: مش فاهمة.. فيه إيه يا محمد؟ فهمني.. أريد أن أرتاح.. أفهم.. أعيش في هدوء.. أو أترك الفيلا أنا وأولادي..

وأضافت عفاف وهي في قمة الانفعال:

- إن كان عماد صاحب كل هذه الأعمال.. عماد مات.. ووجدتم جثته.. فما الذي حدث اليوم؟ وإن لم يكن عماد.. فمن يكون؟ هل هذا المكان ملعون؟ هل هو بيت للأشباح؟ أنا والأولاد كدنا نموت في لحظة في كوخ الحديقة.. كان هناك من ينتزع ابني مني. قوة خفية.. كانت تجري خلفنا.. أحسست بآلاف الأيدي تدفعني وأولادي إلى داخل الكوخ.. رأيت آلاف الأيدي تغلق باب

السياج الحديدي.. آلاف العيون الشريرة كانت تنظرنا، قرأت الشهادة وانتظرت ملك الموت..

دادة حليمة: حقا يا ابني كنت أقف في التراس أنظر الأمر وتسمرت قدماي بالأرض.. كأن الزمان دار دورته إلى الخلف ليقف عند حادثة كاميليا وابنها.. نفس المشاهد.. نفس القوة الخفية التي دفعتهم بالأمس.. هي هي التي دفعت عفاف وأولادها اليوم.. مع فارق واحد.. بالأمس كانت هذه القوة الخفية مصرة على الوصول بالمشهد إلى نهايته.. أما اليوم فكان هدف هذه القوة الخفية الوصول بالمشهد إلى أقصى درجات الرعب.. تريد أن تقول أنا هنا.. أنا موجودة..

عماد لم يمت.. وليست هذه جثته يا ولدي، عماد بيقول أنا موجود..

محمد بك: لا.. لا يا دادة عماد مات.. وشبع موت.. لكنه فجأة يتراجع.. مات منذ أيام وينتظر القبر.. سأهدم الفيلا فوق رؤوس شياطينها.. سنبدأ من جديد وسنغسل أيدينا جميعًا من هذه اللعنة.. أعطوني فرصة لأنهي بعض الأعمال ثم نغادر جميعًا..

عفاف: محمد لماذا لا نعرض الفيلا للبيع؟ ونبدأ حياتنا بمشروع جديد وبيت يجمعنا نحن والأولاد ودادة حليمة وسعداوي..

محمد بك: أفكر جديًا في هذا الأمر.. لكني لا يمكن أن أنسى أن هذه الفكرة كانت بداية اللعنة.. بعدها جاءت نفسي عن الطريقة..

وخسرت الزوجة والولد.. وخسرت أملي في أن أكون كاتب قصة يقرأ له الناس.. وتركت الفيلا وتركت البلد.. رغم أني أكره الغربة.. رجعت لأجد أن الله عوضني بزوجة وبولدين بدل الولد.. وأتمنى أن أحمل الخير لهم جميعًا..

عفاف: أتمنى يا محمد.. أتمنى أن يجمعنا بيت هادئ.. لا أريد فيلا ولا أريد حديقة، فقط أريد حياة هادئة سوية آمنة..

الدادة: عندك حق يا ابنتي، فإن رضا النفس أهم من ثروات الدنيا كلها.. توكل على الله يا ولدي.. ربنا يباركلك في أسرتك ويرزقك الرضا والقناعة.. ويهديلك نفسك وسكينتك

محمد بك: دادة.. أنا مخنوق شوية.. عينيك على عفاف والأولاد.. في رأسي بعض الأفكار.. باكر أغادر ليوم أو يومين.. وحينما أعود نرتب كل شيء..

عفاف: خذنا معك..

محمد بك: حينما أعود.. نخرج جميعًا..

❊ ❊ ❊

٨

خرج (محمد بك) يقصد بيت أبي الكرامات.. فقد عزم على أن يقابل عماد أو "روح عماد" ليعرف منه ما نهاية هذه المواقف.. وصل إلى حارة شعبية يطلق عليها "عزبة الضبع" بيوت قديمة مهترئة متهالكة.. أقرب إلى حواري العهد البائد.. لا يزيد عرض الطريق عن مترين ونصف.. يسأل عن أبي الكرامات.. ينظر بعضهم إلى بعض.. فقليلا ما يدخل العزبة بهوات على هذه الهيئة.. أكثرهم من يأتي لطلب أقراص الترامادول.. أو بودرة البيسة التي لحست عقول الشباب، وظنوا به أنه من رجال مكافحة المخدرات..

أحدهم: عايزه في إيه يا أفندي؟

آخر: أفندي إيه.. بيه يا حمار.. يا بيه شكلك ابن ناس.. وأبو الكرامات ده شمال وسحر والذي منه..

محمد بك وقد أخرج من البالطو علبة السجائر المستوردة.. وناول كل واحد سيجارة.. ثم قال: يا أفندية.. بيني وبينه صلة قرابة من بعيد.. ولي عنده طلب وبينا ميعاد.. لكن لا أعرف بيته.. فأشار أحدهم إلى بيت مغلق بباب حديدي مصفح..

البيت ده يا بيه.. نادي وقول يا كارم.. انفتح الباب عن درج ملتوٍ يكاد يسع شخصًا واحدًا ثم نباح شديد لكلاب يبدو أنها مدربة على الحراسة.. فهذه هي الوسيلة الوحيدة في هذا المكان.. للاحتماء من

الشرطة.. وتعطيلها في حالة الكبسات المباغتة فلا يكاد يخلو بيته من أكثر من كلب للحراسة وكتجارة في بعض الأحيان..
ثم سمع محمد بك من ينادي (اتفضل يا بك).. عرفه من صوته، هذا هو أبو الكرامات الذي أطل بصلعته المميزة من أحد الأبواب.. وهو يدفع خلف الباب وحشين وليس كلبين! ليفتح بابًا آخر جانبيًا يبدو أنه لحجرة منفصلة عن أهل البيت..
أبو الكرامات: أهلاً أهلاً.. اتفضل يا محمد بك.. العزبة نورت، هي مش قد المقام بس أكيد مقامها زاد بتشريفك لها اليوم..
دخل محمد بك، المكان أشبه بكهف من العصور الوسطى.. في أوسطها كرسي كبير مثل كراسي الباشوات فوقه تمامًا قرون مثنية بالحائط.. فيكون للجالس على الكرسي قرنان كقرني الشياطين.. وأمام الكرسي مبخرة كبيرة تشبه في ما يشبه الحوض وبه بعض الدم..

وعلى الحائط بين القرنين.. جلد نمر وعليه مسبحتان ضخمتا الحبات منقوش عليهما رسوم غريبة لجماجم وصلبان وخمسة وخميسة.. وأحجبة ضخمة.. الإضاءة باهتة بين الأحمر والأسود.. ولوهلة من الزمن دب الرعب والفزع في قلب محمد بك.. وفكر جديا في أن يتراجع وهم بالتنفيذ.. لولا ظهور أبي الكرامات وولده كارم من باب سحري جانبي وكأنه باب العفريت..

فترك أمره لله وجلس وكأنه على قطعة صوفية من فرو خروف في قبالة أبي الكرامات الذي بادره:

- يا أهلا وسهلا.. حلت البركات.. تحت أمرك..

محمد بك: أنا عايز عماد..

عماد مين؟ أعرف أنه مات.. قال أبو الكرامات مستغربًا.

محمد بك: لأ.. عاوز روح عماد أتحدث معه.. تقدر تحضر روحه؟

أبو الكرامات: تحضر..

أطلق أبو الكرامات البخور.. ثم أطفأ الأنوار وأشعل النار، ثم بدأ يتمتم بصوت غير مسموع سرعان ما تحول إلى صياح بتعبيرات وكلمات غير مفهومة.. وكارم يرتعد عند قدميه، ثم أضاء الأنوار.. وأشار للطفل أنظر.. ماذا ترى؟ قال كارم وهويتلعثم: باب القبو يفتح.. يخرج منه ذلك الشخص الذي خرج قبل ذلك.. يطير في الهواء.. هو تحت البيت.. أطلق أبو الكرامات مزيدًا من البخور.. وفجأة.. انكسر الكوب الزجاجي في يد كارم الذي أرغى وأزبد ثم وقع مغشيًا عليه..

أبو الكرامات: أقسم عليك بالذي رفع السموات بغير عمد.. ألا حضرت الآن..

محمد زاغت عيناه.. وأرغت شفتاه .. تسارعت دقات قلبه.. ثم أخذ يدير عينيه في كل أرجاء الحجرة.. لا يدري من أين سيأتيه السهم.. وفجأة ارتعد كارم.. ثم تقوس ظهره وتشنجت أطرافه وحجظت

عيناه..

أبو الكرامات: يالغبائي لقد تلبس بالطفل الصغير.. من أنت؟ من أنت بحق الرحمن؟ أقسم عليك بالذي رفع السماء بغير عمد وبسط الأرض من غير وتد ورزق الدودة في باطن الأرض من غير كبد.. أقسم بكل أسماء الله الحسنى.. وباسمه الأعظم لا تؤذِ هذا الولد.. من أنت؟ من تكون؟ مؤمن موحد.. عايز إيه؟ تكلم.. تكلم سريعًا..

محمد بك: ما هذا الذي أرى؟ هل حضر فعلا؟

أبو الكرامات: نعم.. إنه شخص آخر..

"أنا.. أنا.. عماد.. عماد محمد محرم.. عماد محمد محرم.. "

قالها أبو الكرامات وهو يلوك حروفها..

١٢ حرفًا.. لا إله إلا الله.. ١٢ حرفًا.. محمد رسول الله ١٢ حرفًا.. أبو بكر الصديق ١٢ حرفًا.. عمر بن الخطاب.. ١٢ حرفًا.. عثمان بن عفان ١٢ حرفًا.. علي بن أبي طالب.. ١٢ حرفًا.. أنت مؤمن يا عماد.. لا إله إلا الله محمد رسول الله (قالها عماد بوضوح)..

أبو الكرامات: ماذا تريد يا عماد؟ هل هناك علاقة بينك وبين ما يحدث حولنا؟

عماد: الله لا يرضى الظلم.. خلق الله الظلم وحرمه بين الناس.. وقال "فلا تظلموا" اسألهم فيم ظلموني.. الدنيا كلها ذاهبة بما عليها ومن عليها.. وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة.. ولزوال

الدنيا.. وهدم الكعبة حجرًا حجرًا.. أهون عند الله من دم مسلم واحد.. لذلك لن أترك حقا كفله لي ربي.. لا أريد إلا القصاص..

أبو الكرامات: من تعني؟ من قتلك؟

عماد: سلهم.. قد يجيبون فيمَ قتلوني..

أبو الكرامات: محمد بك.. هذا هو، ماذا تريد؟

محمد بك وقد قام مسرعًا.. خائفًا.. مرعوبًا.. لا.. لا شيء.. لا أريد أي شيء، وغادر سريعًا..

عماد: وقد أطلق ضحكة مجنونة.. اهتز لها جسد الطفل كارم.. أنا أنا.. فاعلم تمامًا ما أريد.. وقبل كل شيء لن يكون إلا ما أراد الله..

أبو الكرامات: أقسمت عليك اخرج.. ودع ابني.. اخرج من أصابع قدمه لا تؤذه. شهق كارم شهقة اهتز لها جسد أبي الكرامات.. هاج فجأة تيار من الهواء.. كاد يخلع نوافذ الحجرة والبيت.. وعوت الكلاب من الألم الشديد.. احتضن أبو الكرامات ولده.. وقال:

- آسف لك يا ولدي.. لن يحدث ذلك مرة أخرى..

كان محمد بك يسابق الريح.. فجأة وقف.. لم تعد قدماه تقويان على حمله.. يكاد يختنق.. وكأن جبالا من الحجارة عند كتفه وصدره حتى تحشرج صوته.. وقال بصوت مبحوح: دعني.. دعني..

احمرّ وجهه حتى أصبح كالصنم الأحمر وحجظت عيناه.. وسمع في أذنه من يرد.. أذكرك فقط بالذي فعلته.. وبالذنب الذي تحمله في ظهرك.. وتنوء منه الجبال.. أستطيع أن أقتلك لكن ليس الآن..

يتشنج محمد.. وكأنه يحاول أن يحرر عنقه من يد قوية تكاد تخلعها خلعًا.. وبعد عدة محاولات.. ينجح لكنه ينطرح أرضًا.. ظن من حوله أنه يعاني نوبة من نوبات الصرع الكبرى.. فهذا يردد: لا إله إلا الله.. محمد رسول الله.. وذا يردد.. الله أكبر.. الله أكبر.. وثالث ينثر الماء البارد على وجهه.. ورابع يحاول أن يجلسه ويعطيه بعض الماء حتى لا يبلع لسانه.. فتح عينه بصعوبة.. يرى خيالات تتحرك.. تروح وتجيء حتى اتضحت الرؤية..

محمد: هو حصل إيه؟ أنا فين؟

أحدهم: أنت بخير.. لكن يجب ألا تسير وحدك.. ما دمت تعاني الصرع.. افرض كنت على الأسفلت.. معاك تليفون؟ تريد من يأتي ليصحبك؟ خذ اتصل..

فأخرج محمد تليفون.. ثم تراجع وقال: الحمد لله أنا كويس وبخير.. أستطيع أن أشرب شيئًا وأواصل السير.. كتر خيركم.. شرب محمد بك كوبًا من العصير.. ثم واصل السير وهو يدافع أفكارًا تعتمل في رأسه الذي يكاد ينفجر.. ويحاور نفسه.. الأمور أصبحت واضحة.. ولا بد من هدم الفيلا.. أو تركها حتى ينتهي هذا الكابوس.. مر محمد بك على سمسار شهير.. يتبع أحد مكاتب الاستثمار العقاري.. شرح له الأمر.. وأخبره أنه على عجل من أمره.. لأنه مهاجر ولم يعد لديه وقت.. ووعده بعمولة شخصية فوق القومسيون المعتاد.. ملأ الطلب.. أشار السمسار بإمضائه على طرف الطلب.. التليفون

والعنوان، وما إن قرأ العنوان حتى صاح السمسار: فيلا الأشباح في كفر عبده.. لا ياعم الله الغني.. الحاج محمد فهمي منذ سنوات قليلة اتصرع فيها ومات بعدها بأسبوعين.. وكل اللي يدخلها يتأذي..
محمد بك برضو يا عم أحمد.. رجل ملو هدومه وسمعته تسبقه.
يقول أشباح طيب أنا سوف أعطيك نسبتك ثلاثة أضعاف القومسيون، يعني مبلغ وقدره..
السمسار: خلاص يا بك.. مقضية بإذن الله..
غادر محمد مكتب السمسار.. وسرح ببصره وهو ينقل خطواته في تثاقل حتى اقترب من باب الفيلا.. حيث لمح سعداوي وهو يحمل حقيبة الطبيب إلى سيارته.. "سلام يا دكتور.. سلام"
محمد بك: في ايه يا سعداوي؟ أين كان الطبيب؟
سعداوي: الست الصغيرة يا محمد بك.. أم أحمد ونور.. سقطت مننا وفرفرت لولا لقيت الدكتور.. لحقنا وعلق لها محلول وحقن كتير..
ثم أشار محمد وهو يسير إلى الداخل عبر التراس.. وإيه الرجالة متجمعين هناك؟ هل هناك شيء؟
هأبلغ حضرتك.. اطمئن على الهانم الأول.. منتظر حضرتك.. أمر غريب حصل من ساعة ولا ندري ما السبب..

❊ ❊ ❊

٩

دلف محمد بك إلى الداخل سريعًا، الهدوء يسود الفيلا.. أسرع إلى حجرة النوم.. عفاف بالسرير.. وإلى جوارها أحمد.. نور.. ودادة حليمة.. تقف بجانب السرير تصنع لها كوبًا من الحليب والعسل..

محمد بك: ماذا يحدث؟ ألف سلامة لك يا عفاف.. وقبل أن تحرك عفاف شفتها لترد أشار أحمد ونور إلى بطن عفاف.

أحمد: إنه أخي..

وقالت نور: هذه أختي.. ابتسمت عفاف ابتسامة يخالطها الخجل.. وضحكت دادة حليمة بصوت مسموع..

دادة حليمة: مبروك يا ابني.. ربنا يكمل لها على خير، الست عفاف حامل..

ألجمته المفاجأة، فمنذ زمن طويل لم يسمع خبرًا يسره.. مبروك يا عفاف.. يارب يكون بداية الخير، مولود جديد يعني خير جديد.. ورزق جديد..

عفاف: يارب يا محمد يكون فاتحة خير..

دادة حليمة: إن شاء الله الخير على قدوم الواردين..

محمد بك: إذن تستريحي ومعاكي دادة حليمة.. سأنزل لأرى ما المشكلة في الحديقة.. وأرسل من يأتينا بالعلاج.. هل تريدون شيئًا آخر؟ وينزل.

وفي الحديقة كان سعداوي عند سلم التراس ينتظر محمد بك وهو يتوجس خيفة..

سعداوي: يا بك حدث شيء غريب منذ حوالي ساعة ولا نجد له تفسيرًا..

محمد بك: لا تكثر من الحكي.. أنا مرهق بما فيه الكفاية.. ثم أردف وقد فهم قليلا: تقول منذ ساعة تقريبًا؟ "وفي عقله يقول: أثناء عودة عماد للقبو"

سعداوي: يعني حوالي ساعة.. بينما كنا نجلس على البوابة.. أنا واثنان من رجال الحراسة.. وكان الباقي والكلاب الخمسة المدربة يتجولون في الحديقة.. شهاب من نور مر كالسهم.. حتى أنه خطف أبصارنا برهة.. ولم تمر ثواني حتى وجدنا الكلاب الخمسة تجري كالبرق تجاه القبو.. وكأنها تطارد شبحًا لا نراه، ودارت معركة شرسة كان نتيجتها قتل الكلاب الخمسة.. كلهم بنفس الطريقة..

محمد بك: كيف؟ وحوش كهذه تقتل بهذه الطريقة؟

سعداوي: تعالى يا بك.. انظر.. كل الكلاب كسرت أعناقها بطريقة وحشية.. وكأنه وحش غير مرئي رابض في القبو.. وننتظر أوامر سيادتك يا بك..

محمد بك: لقد عرضت الفيلا للبيع مرة ثانية.. وأرجو أن يكون حظنا أحسن من المرة السابقة.. وبالذات بعد أن أصبحت الحديقة جنة بأشجارها وأنوارها وبعد تعلية السور وترميم الحوائط..

رن تليفون محمد بك.. ده السمسار معقول بالسرعة دي..
أيوه.. ألو عم أحمد..
عم أحمد السمسار: شكلها حتزهزه يا بك.. شركة سياحة كبيرة.. سوف ترسل مندوبًا للفيلا غدًا بعد العصر والمكان والمساحة والحديقة.. مبسوطين منهم جدًا.. قول يا رب..
محمد بك: يارب يا عم أحمد.. وأغلق التليفون.. وواصل حديثه مع سعداوي..

- عايز الأمور بكرة تبقى فل.. وهات ورد لسلم التراس.. واقفل باب القبو.

سعداوي: حاضر يا بك.. ربنا يعمل اللي فيه الخير..
أدرك محمد بك أنه لابد من التضحية والقبول بأي عرض لبيع أو تأجير الفيلا وبخاصة أن الأمور قد تغيرت.. وهناك أولاد في الطريق.. يعترف بندمه الشديد ويعترف بخطئه..
صعد سلم التراس ودلف إلى داخل الفيلا.. الأوضاع هادئة. قرر أن يتمتع بقسط من النوم الهادئ وهو يأمل أن تحمل له الساعات القليلة القادمة أخبارًا.. تدعو إلى الخير والتفاؤل.. وقال في نفسه:
يقال في المثل الشعبي "تبات نار.. تصبح رماد"
وفي عصر اليوم التالي يتلقى اتصالاً هاتفيًا من السمسار أن مجموعة الشركة السياحية على وصول، فنزل ليستقبلهم على بوابة الفيلا.. وكانت الحديقة ومدخل الفيلا وكأنه يوم عرس،

الورود في كل مكان.. الأنوار التي تعلو الأعمدة والمداخل مكتملة.. وأخيرًا وصلت المجموعة.. وكانوا أربعة.. عضو مجلس إدارة شركة السياحة.. ووجيه بك (خبير سياحي) والحاج عبد الرحمن مسؤول رحلات الحج والعمرة بالشركة ومعهم مصور (السيد كوداك) بهرهم جمال المدخل والفسقية الرخامية التي تتوسطه.. وأثنوا على الكوخ وأخذو يتجولون في أرجاء الحديقة والمصور يلتقط الصور ذات اليمين وذات الشمال..

أما الحاج عبد الرحمن فهو عالم صوفي متبحر في الصوفية كعلاقة روحانية بين الإنسان وخالقه.. تحمل الأدب الكامل والتسليم والرضا والزهد في الدنيا.. وصدق اللجوء إليه.. والتوكل عليه والاستعانة به وحده.. لا مكان فيها للتبرك بالقبور وساكنيها.. والاستعانة بالأولياء والأضرحة.. يدرك الحاج عبد الرحمن أن الصوفية كقرب من الله تعتمد على الإخلاص في العبادة على ما جاء به رسول الله.. صلى الله عليه وسلم.. ويؤمن بأن الأرواح هي قبس من روح الله.. وهي جنود مجندة طائعة.. يتقرب منها ربها بأكثر من قربها منه سبحانه.. فإذا تقرب العبد من ربه شبرًا.. تقرب الرب منه ذراعًا.. فإذا تقرب إليه ذراعًا.. تقرب إليه باعًا.. وإذا جاء الله يمشي.. أتاه الله هرولة.. ومازال يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يحبه الله.. فإذا وصل إلى منتهى درجات الحب.. يقول المولى "كنت سمعه

الذي يسمع وبصره الذي يبصر به ورجله التي يمشي بها" بل ويستطيع أن يصل إلى مستوى العبد الرباني الذي رضي الله عنه..

كان الحاج عبد الرحمن يسير وهو يسبح على مسبحة طويلة بين يديه، وكلما اقترب من باب القبو تغير لونه.. ووقف يحوقل ويتلو آية الكرسي والمعوذتين.. فلما تكرر منه ذلك..

محمد بك: خير يا حاج؟

الحاج عبد الرحمن: هو إيه هنا يا ابني؟ ممكن تفتح لنا؟

محمد بك: آسف يا حاج.. ده قبو مغلق منذ فترة.. وتعذر الحصول على مفتاحه.. وكله كراكيب وروبابكيا.. إن شاء الله المرة القادمة أكون جهزت المفتاح.. قالها محمد بك وهو قلق مغتاظ.. وواصلوا السير.. صعدوا التراس.. ليدخلوا إلى الفيلا..

خبير السياحة يرى أنه يمكن هدم الفيلا والاستفادة من المساحة والمكان بمشروع كبير.. ومحمد بك يؤيده.. وعضو مجلس الإدارة يرى أن المكان والطابع المعماري للفيلا يعطيها الأولوية ليكون مقرًا سياحيًا كبيرًا.. حيث يتوسط الإسكندرية.. ومازال الحاج عبد الرحمن يحوقل.. ويتمتم على مسبحته وإن بدا ذاهلا منفصلا عن المجموعة وإن كان شروده يدل على تفكيره في أمر ينوي تنفيذه..

أما سيد كوداك فلم يترك شاردة ولا واردة ولا ركنًا ولا صورة إلا قام بتصويرها..

ومحمد بك يشرح تاريخ الفيلا وما شهدته من أحداث تركت بصماتها على كل تابلوه أو قطعة من الأنتيكات المنتشرة بالفيلا..

محمد بك: من هنا لآخر هذه الردهة كل الحجرات مغلقة.. فكانوا يمرون يحددون المساحات ويدرسون حالة المحتويات، وسيد كوداك يقوم بالتصوير، حتى وصلوا إلى حجرة يفوح منها عبق التاريخ.. صور زعماء مصر يتصدرهم السيد محمد كريم.. زعيم المقاومة في الاسكندرية.. وكان بالحجرة ثريا (نجفة) من الثريات القديمة وأباليك من الطراز الفاطمي والإسلامي وسجادة من السجاد العجمي اليدوي الفاخر.. وسرير من النحاس المذهب المطعم بالعاج العثماني.. وكأنهم انتقلو من عصر إلى عصر آخر.. وسيد كوداك يصور.. ولما أعجبه السرير النحاسي بالناموسية المشهورة.. أخرج الموبايل والتقط صورة فورية..

خرجوا و اقتربوا من التراس.. سيد كوداك بنظرة في الموبايل.. وما أغرب ما يرى.. ظهر في الصورة من يجلس على السرير عاقدًا كفيه خلف رأسه..

السيد كوداك: يسأل نفسه باستغراب.. لم يكن أحد بالسرير..

وتعلل للمرافقين بأنه نسي الموبايل بآخر حجرة.. وعاد مسرعًا حتى قبل أن يستأذن محمد بك.. وقد اشتهر سيد كوداك بين أقرانه بحب المغامرة والاندفاع.. من أجل الحصول على صورة غير

تقليدية أو غريبة.. فتح سيد كوداك الباب ببطء.. وقبل أن ينير مفتاح الكهرباء أضاءت أباليك الحجرة حول السرير..

سيد كوداك: بسم الله الرحمن الرحيم.. اللهم اجعل كلامنا خفيف عليهم..

والتقط بالكاميرا منظرًا عامًا وجانبيًا ومن قريب.. ثم بالموبايل.. ثم رفع يديه بالسلام.. السلام عليكم أهل المكان ورحمة الله وبركاته..

وعاد بسرعة حيث كان الجميع بانتظاره على سلم التراس..

سار خلفهم.. وكأن على رأسه الطير.. فضحه صمته حيث التفت إليه الخبير السياحي:

إيه يا سيد.. شفت العز بتاع زمان؟

سيد: شفت يا بيه..

الخبير السياحي: ياريت نجهز الصور سريعًا عشان ناخد قرار بسرعة..

سيد: بأسرع مما تتصور يا بك.. أنا أيضًا ملهوف على رؤيتها..

الحاج عبد الرحمن: ماذا بك يا ولدي؟ تبدو شاردًا.. هل حدث شيء؟ لم يتكلم.. فقط أخرج الموبايل.. وعرض الصورة على الحاج عبد الرحمن..

لم يتعجب الرجل.. قال: أعلم يا ولدي أن هناك شيء غريب في هذا المكان وسوف أصل له بإذن الله..

ربنا يكون في عونك يا حاج عبد الرحمن..

الحاج عبد الرحمن: اكتم هذا الأمر يا سيد وإن أردت أن تصحبني اليوم قبل الفجر فافعل..

السيد كوداك: وكيف لا أصحبك؟ اعتبرني معك من الآن لعل الله يفتح على أيدينا فتحًا..

وقبل الفجر بساعة.. كان الحاج عبد الرحمن وسيد كوداك عند بوابة الفيلا.. حيث سعداوي وبعض رجال الحراسة.. يتحلقون حول كومة نار يصنعون أكواب الشاي السوداء..

كان الزمان آخر الشهر العربي.. والسماء سوداء مظلمة.. بعض أعمدة الإنارة تعمل.. وبعض رجال الحراسة خلال الحديقة.. والهدوء العام شعار الحالة..

سعداوي: خير يا حاج؟ ألم تكن معنا عند المغرب؟ ماذا أتي بك في هذه الساعة؟

الحاج عبد الرحمن: انظر يا سعد..

سعداوي يا حاج..

انظر يا سعداوي، بدون لف أو دوران أنا لا أريد أكثر من قضاء بعض الوقت عند باب القبو.. أصلي ركعتي الفجر ومعي سيد كوداك.. لأمر سوف أذكره فيما بعد.. لكن غيّب عني رجالك ولكم كل ما تريدون ولا تخشَ شيئًا أنا لم أرك وأنت لم ترني.

سعداوي وهو يعبث بيده في شعره ينظر أبعاد الطلب والموضوع..

ثم أدرف: طيب آخد رأي الرجالة..

وسأذكر لهم أنك فقدت شيئًا مهمًا وثمينًا ولا يمكن أن تنتظر حتى الصباح.. لكن يا عم الحاج..

الحاج عبد الرحمن: قهوتك والرجالة وكل ما تريدون عندي.. لن أناقشك فيه..

غاب سعداوي بعض الوقت حتى ظن الحاج عبد الرحمن أن في الأمر شيء.. وعاد بالموافقة.

سعداوي: اتفضل يا آبا الحاج.. اتفضلوا لكن حاولوا ألا يكتشف الأمر..

تقدم الحاج عبد الرحمن بخطى ثابتة جهة باب القبو.. ومن خلفه سيد كوداك يقدم رجلاً ويؤخر الأخرى.. حتى تكاد تسمع دقات قلبه في هدوء الليل..

وفجأة إذا باب القبو، يبسط الحاج عبد الرحمن مصليتين له ولسيد كوداك..

الحاج عبد الرحمن: اتوضى يا سيد..

سيد كوداك: لا.. أنا لا أصلي.

الحاج عبد الرحمن وقد تغير وجهه: كيف؟ كيف لا تصلي؟ هذا موضوع آخر.. هناك صنبور ماء اذهب وتوضأ..

ووقف يتمتم ببعض الدعاء.. حتى انتهى السيد كوداك وجاء كعصفور مبلل ينتفض من الخوف..

الحاج عبد الرحمن: انوِ صلاة ركعتين.. وفي الركعة الثانية.. ندعو الله أن يكشف الأمر، وبدأ الحاج في صلاته.. استفتح ثم تلا آية الكرسي وردد طويلا قوله سبحانه ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ** ﴾ وكأنه يرجو الله الذي يعلم من أمر كل شيء ويحيط بأمر كل شيء أن يكشف له خبايا الأمور.. وفي الركعة الثانية استفتح ثم قرأ المعوذتين وكرر ﴿ **مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۞ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ** ﴾.. ﴿ **مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۞ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۞ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ** ﴾

وكأنه يستعيذ ويستعين بالله على شياطين الإنس والجن والنفاثات والسحر والسحرة.. وكل ما يدبره الناس للناس.. ثم بدأ الدعاء:

اللهم يا من تعلم خائنة الأعين.. وما تخفي الصدور.. اللهم يا من تعلم السر وأخفى.. اللهم يا من له الخلق والأمر.. يا من تقدس وتباركت صفاته.. نستقدرك بقدرتك.. ونستخيرك بعلمك فإنك تعلم ولا نعلم وتقدر ولا نقدر وأنت علام الغيوب.. اللهم أطلق روح عبدك من سجن الدنيا.. ألى ملكوتك يا رحمن ومن جبروت الخلق إلى رحمتك يا منان.. وسيد كوداك يرتعد بجوار الحاج من النص وهو يؤمن على الدعاء.. ولم يكمل الحاج من نص الدعاء.. حتى انشق باب القبو.. عن جسد أثيري نوراني مقطوع العصب النوراني.. فوقع الحاج عبد الرحمن ساجدًا وكاد أن يغشى على

السيد كوداك الذي ازداد التصاقا بالحاج عبد الرحمن.. وازداد ارتعادًا حتى اصتكت أسنانه خوفا ورعبا.. سجد الحاج عبد الرحمن سجدتين وسلم سريعًا وقال: السلام عليكم.. يا عبد الله.

قالت الروح: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته..

الحاج عبد الرحمن: بارك الله قلبك يا ولدي، شعرت برقدتك وأحسست بوحدتك.. فماذا تجد بعد أن تركت دارنا؟ وما ألجأك لنا بعد مفارقتك أرضنا.. والأرواح في سجين أو في عليين..

قالت الروح: تركت الدنيا فعلمت أن جديدها يبلى.. وملكها يفنى.. وعزيزها يذل.. وكثيرها يقل.. ودها يموت.. وخيرها يفوت.. فتنتنا بأمانيها وتزينت لخطابها.. فأصبحت العيون لها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة، وكم من عاشق قتلت وكم من مطمئن إليها خذلت.. حتى إذا نزل القضاء وانتزعت نفسك من الأعضاء.. ينصرف أهلك إلى مالك.. وتبقى مرتهنًا بأعمالك..

بكى الحاج عبد الرحمن.. ثم واصل السؤال.. "أين أنت الآن يا ولدي حتى أخبر أهلك؟"

- سلهم يا عم لم قتلوني.. وفيم تركوني.. ما أريد من دنياكم غير دم وكفن وقبر..

السيد كوداك: يا حاج عبد الرحمن فوق.. بتكلم مين؟ أصور؟ أصور يا حاج؟ ولم ينتظر فالتقط بالموبايل صورة وأخرى وثالثة.. في إيه يا حاج؟!

الحاج عبد الرحمن: مظلوم ينتظر القصاص.. وأذن الفجر وكانت ليلة لها ما بعدها.. صلى الحاج عبد الرحمن والسيد كوداك.. وانصرفا سريعًا.. الحاج عبد الرحمن لا يصدق ما رأى وما سمع.. هذه هي الدنيا يا سيد.. صفوها كدر.. ونعمتها خطر.. وما نظر الله إليها منذ خلقها.. فليس على الأرض أحد أغنى منه..

السيد كوداك: وماذا سنفعل؟

الحاج عبد الرحمن: نحرر هذه الروح وندفن هذا الميت.

السيد كوداك: وكيف ذلك؟

الحاج عبد الرحمن: حينما تتم الصفقة أول شيء نفعله هو أن نفتح القبو ونبحث عن الجسد ونقبره ونستره.. ولنا في ذلك فضل عند الله عظيم.. ثم أضاف: أرني ما صورت الليلة..

فتح السيد كوداك التليفون وبحث فوجد جسدًا أمام القبو يجثو على ركبته.. لكن لا ملامح له..

❊ ❊ ❊

١٠

في الصباح اجتمع الجميع على مائدة الإفطار.. الجو غير الجو.. أحمد ونور في منتهى السعادة.. حتى أنهما وضعا أدوات المائدة على المقعد الخالي.. وكتب أحمد "مقعد أدهم".. وكتبت نور "مقعد هدى".. ابتسمت عفاف لهما.. لكن "محمد بك" كان شاردًا يفكر في كل ما حدث في الأيام السابقة.. ويتمنى أن تمر الأيام سريعًا وتنتهي هذه الأزمة على خير.. ورغم شروده إلا أنه حاول أن يعلق ويبتسم لموقف الأولاد..

عفاف: ماذا يا محمد؟ ماذا يعكر صفوك؟ إن شاء الله تحمل لنا الأيام القادمة كل خير..

محمدبك: يا رب يا عفاف أتمنى أن يغلق هذا الباب تمامًا ونبدأ بداية جديدة.

عفاف: هل من جديد بالنسبة لموضوع بيع الفيلا؟ يبدو أن الأمور ستنفرج..

محمد بك: لم تستقر الشركة السياحية على الشراء أو الإيجار.. وإن كانوا يرجحون هدمها والبناء عليها.. مشاركة فيستفيدون وأستفيد.

عفاف: وهل توافق المحافظة على الهدم؟

أسمع أن هذه المنطقة مسجلة كأثر تاريخي ولابد من تصريح وزارة الآثار.. وفحص الأرض من الناحية الأثرية..

محمد بك: عموما منتظر الرد.. وبعدها نبدأ في التحرك.. وأتمنى البيع ونخلص..

ودخل سعداوي: محمد بك.. الحاج عبد الرحمن يتنظر في الكوخ.. يريدك لأمر مهم..

محمدبك: بدري كده؟! الساعة لم تتجاوز العاشرة.. طيب قدم واجب الضيافة حتى أفطر..

عفاف: يمكن يكونوا مستعجلين..

محمد بك: يا رب.. دعواتك يا عفاف..

وبعد الإفطار نزل محمد بك وتعلق الطفلين أحمد ونور ليقضيا وقتا بالحديقة.. وجلست عفاف تقلب في بعض الأوراق وجدتها بأحد الأدراج.. كانت الأوراق قبلها بعض الصور.. كاميليا.. صور العرس.. الأسرة كلها.. عقد الفيلا بتاريخ ١٩١٣.. يعني قبل الحرب العالمية الأولى.. وهذه صورة كاميليا وعماد.. وهذه صورة عماد.. وهذا عقد بيع الفيلا من الوالد لعماد.. بهذا توقيع عماد.. يعني الفيلا بالكامل كانت ملك عماد.. ثم يختفي عماد فجأة!!

أمر يحتاج إلى تفسير ويدعو إلى الريبة..

وفي الكوخ..

يقابل محمد بك الحاج عبد الرحمن..

محمد بك: أهلا يا حاج.. يبدو أن القرار كان سريعًا حتى تأتي في هذا الوقت المبكر..

الحاج عبد الرحمن: لا يا ولدي، أنا حضرت لأمر آخر.. منذ متى وأنت في هذه الفيلا؟

محمد بك: حوالي ثمان سنوات.. لماذا السؤال؟

الحاج عبد الرحمن: يا ولدي هذه الفيلا فيها روح هائمة.. ولن يهدأ أمرها إلا إذا دفنت.. ويا سعده من ستر إنسانًا.. ستره الله يوم العرض!

محمد بك وقد ألجمته المفاجأة: ماذا تعني يا حاج؟! وما أدراك بذلك؟

الحاج عبد الرحمن: لا تسألوا عن أشياء إن تبدَ لكم تسؤكم.. وكنت أتمنى أن أزور القبو لأنظر فيه.. فقد نصل للأمر.. هل وجدت مفتاح القبو؟

محمد بك: من الخطر فتح القبو حاليًا.. فمن المؤكد أنه يحوي هوام وأشياء ضارة، وعمومًا أنا آخر من دخل القبو وأؤكد لك أنه لا يحوي سوى بعض الأثاث والأدوات القديمة.. وعموما حينما يتم البيع افعلوا ما شئتم..

الحاج عبد الرحمن: على خيرة الله.. إذن أعدك أن يتنهي الأمر بسرعة.. ونأتي بالخبر اليقين.. شكرًا يا ولدي..

غادر الحاج عبد الرحمن تاركًا محمد بك يدافع قلقا شديدًا.. وكل ثعابين العالم تتحرك في رأسه.. يوقن أن الخناق يضيق عليه والأمر يكاد ينكشف أو يرى..

إنه لا بد من سرعة التحرك.. وإلا ضاع كل شيء.. وعزم على فتح القبو ولكن بعد تمام الصفقة.. صعد التراس ودخل على عفاف وفي يديها الأوراق..

عفاف: أنا لا أفهم ما معنى وجود هذه المبايعة.. هل كان لكاميليا نصيب شرعي في الميراث؟ أم أن الفيلا كلها كانت في حوزة عماد قانونا؟!

محمدبك نظر لعقد البيع: من أين حصلت على هذا العقد؟! هذا كلام قديم.. والأمور استقرت على اعتبار عماد ميتا قانونًا والوريث الشرعي هو كامليليا..

لكن هذا الأمر لم يلفت نظر الشرطة في وجود شبهة جنائية في الموضوع! وإلا فأين اختفى عماد؟ ولماذا لم يظهر طالما أنه يرث الفيلا بالكامل؟!

سكت محمد بك.. وأدار دفة الحديث لمنطقة أخرى:

- الجماعة غالبا سوف يوافقون على شراء كامل الفيلا.. واحتمال هدمها وارد ويجب أن نستعد لذلك من الآن.. بتجهيز حاجيتنا والبحث عن مكان جيد للإقامة.

ونزل تاركا عفاف تعتمل الأفكار في عقلها وتضرب أخماسًا في أسداس..

حتي دخلت عليها دادة حليمة ووجدتها شاردة.. غائبة عن كل ما حولها..

دادة حليمة: يا ست عفاف.. يا ست عفاف.. ماذا بك يا ابنتي؟ لماذا أراكِ شاردة؟

عفاف: مش فاهمة حاجة يا دادة، والفار بدأ يلعب في عبي.. والشك يكاد يقتلني..

دادة حليمة: يا ابنتي.. فوضي أمرك لله وقولي اللهم دبر لنا فإنا لا نحسن التدبير..

عفاف: ونعم بالله يا دادة.. سوف أقوم بترتيب هذه الأوراق في المكتب كما كانت وأحاول أن أدخل حجرة عماد يمكن ألاقي حاجة تفهمني..

دادة حليمة: وأنا سوف أضع لك كوبًا من العصير.. وألحق بك..

قامت عفاف بإعادة الأوراق والصور مكانها وهي تتحدث لنفسها:

لو كان عماد موجودًا.. ماذا كان يمنعه من العودة لاستلام فيلته؟

ولو كان في الأمر شبهة جنائية، فلماذا لم تظهر جثته حتى الآن؟!

ومن هو المستفيد المباشر من غياب عماد؟.. كاميليا ومحمد.. لا.. بهذا سأصل إلى حافة الجنون.. الأفضل ترك الفيلا في أسرع وقت.. سواء تم البيع أو الهدم.. وخرجت تقصد حجرة عماد.. وكانت غرفة

عماد على رأس الغرف.. وهي بالفعل أكبر الغرف لأنها كانت غرفة الباشا والحاجة رحمهما الله.. أغلقت باب حجرتها وسارت بخطوات وئيدة.. ماذا يحدث؟ تكاد تسمع وقع خطوات خلفها.. خطوة بخطوة.. توقفت.. توقفت الخطوات خلفها.. لا هذه تهيئات أو هي صدى خطواتها خلفها.. سارت بخطوات أبطأ.. سارت خلفها الخطوات.. دقات قلبها تتسارع.. وحلقها يكاد يجف.. أرادت أن تنادي على دادة حليمة.. لم يطاوعها اللسان.. ولم تخرج الكلمات.. ماذا تفعل؟ ليست الخطوات فقط.. إنها تشعر بسخونة الأنفاس في مؤخرة رأسها.. هي موقنة تمامًا أنه يوجد أحد خلفها.. قد يكون يستعد للإجهاز عليها.. لابد من المواجهة.. قرأت كل ما فتح الله به عليها من قرآن.. واستدارت فجأة.. ويا هول ما رأت.. أطلقت صيحة رهيبة سمعها القاصي والداني.. وأغشي عليها تماما وسقطت.. حضرت دادة حليمة والخدم على صوت الصرخة العالية.. وصعد محمد بك درج التراس ليصبح داخل الفيلا في ثواني معدودة.. وسعداوي وبعض أفراد الحراسة بسلاحهم في وضع الاستعداد، وانتشر الآخرون في أرجاء الحديقة ومداخلها ومخارجها..

محمد بك مذعورًا: ماذا حدث؟ ماذا بها؟ دادة بعض الماء أو الكولونيا..

وضع محمد بك رأس عفاف على صدره وأخذ يضرب برفق وجنتيها

ويصب الماء البارد على وجهها.. فتحت عينيها من بعيد.. لترى صورًا وخيالات تجري أمامها.. صرخت ثانيةً..

محمد بك: إهدي.. إهدي يا عفاف.. انتي بخير.. انتي بيننا.. ماذا بك؟

عفاف: رأيته.. رأيته يا محمد.. كان خلفي مباشرة.. لكن لم أحدد له ملامح.. شيء بشع.. بشع.. وقف أمامي لثوانٍ.. ثم جرى ليخرج من هذه الناحية.. صوب باب القبو.. والله رأيته.. والله رأيته صدقوني.. أنا مش مجنونة..

طار سعداوي بالسلاح للجهة التي أشارت إليها مدام عفاف..

محمد بك: ماذا رأيتِ يا عفاف؟ كفاكم تهيئات.. سوف نترك الفيلا تمامًا.. أعصابي تعبت وأصبحت على حافة الانهيار..

عفاف: أقسم بربي رأيته.. لقد كان يرتدي شيء مقلّم.. نور جاءت تفرك عينيها: نعم شيء مقلم.. وبنطلون أبيض.. لقد مر سريعًا ونحن نلعب بجوار القبو..

وهنا صمت محمد تمامًا لما سمع.. شيء مقلم وبنطلون أبيض.. وأسرّها في نفسه.. وأتى سعداوي وأشار إلى بقع دم طرية من مكان عفاف هانم وحتى الدرج المؤدي لباب القبو.. فأشار إليه محمد بك بالصمت..

محمد بك: دادة.. خدي عفاف والأولاد كلكم في الهول الكبير.. وأنا سوف أتبعكم..

كانت دادة حليمة غارقة في الصمت.. تنزل الدموع من عينيها مدرارًا لسبب لم تبُح به.. أخذت عفاف في حضنها وأمامها الأولاد.. وخرجوا إلى الهول الكبير.. والصمت يلف المكان..

عفاف: ماذا بك يا دادة؟ أراكِ تبكين.. ماذا تخفين عني؟ اتكلمي يا دادة بالله عليكِ..

دادة حليمة: لا يا ابنتي لا شيء.. تذكرت عماد بك.. رغم مرور أكثر من ٨ سنوات على اختفائه إلا أنني مازلت أتذكر، لقد كان يلبس تيشرتًا مقلمًا وبنطلونًا أبيض..

عفاف: يعني من رأيته كان عماد.. لكني لم أستطع تحديد ملامحه.. لا أدري لماذا.. هل المفاجأة أذهلتني وأذهبت عقلي أم أن هناك شيء آخر؟

وحضر محمد بك.. وكان يتكلم في الموبايل.. "خلاص يا باشا.. خلاص على خيرة الله.. اليوم الثلاثاء.. يوم الخميس ننهي كل شيء.. مبروك عليكم.. وأغلق وهو يظهر بعض السعادة.. و قال:

- الجماعة وافقوا على شراء الفيلا وسوف يقومون بهدمها تمامًا وبناء مشروع سياحي كبير على الأرض.. الحمد لله يا عفاف.. تقريبا مشاكلنا كلها شارفت على الانتهاء.. موافقة الشركة السياحية تمت والعقد سيوقع يوم الخميس.. وغدًا سأتولى تدبير مكان مؤقت للإقامة على أن نغادر جميعًا يوم الجمعة..

دادة حليمة ياريت تساعدي عفاف وتجمعوا حاجياتنا وأوراقنا المهمة.. استعدادًا للأمر.

دادة حليمة: ستهدم الفيلا يا ولدي؟ إنها قطعة مني.. إنها حياتي كلها.. لي في كل ركن ذكرى.. ارتبطت أيامي بأيامها.. وأخذت تبكي بكاءً مرًا..

محمد بك: دادة حليمة.. في الفترة الأخيرة عانينا جميعًا من الفيلا.. ومن الأحداث التي تقع فيها.. إنها أرض ملعونة.. لو علمت ما قال الرجل الصوفي الطيب الحاج عبد الرحمن عن الفيلا.. واللعنة المدفونة بها.. وأنه لابد من هدمها حتى تنتهي هذه اللعنة.. ما كنت تحزنين هذا الحزن.. كفانا معاناة يا دادة.. ولن نفترق جميعًا..

عفاف: عن أي لعنة تتحدث يا محمد؟ ولماذا لم تظهر هذه اللعنة إلا بعد اختفاء عماد؟! ولماذا لم تحدث وأنت غائب عن الفيلا سنوات طويلة؟ يبدو أن هناك رابطًا بين اللعنة وعماد وبينك.. لكن الأمور مازالت غير واضحة..

محمد بك: دعونا من كل هذا الهراء.. كلنا عانينا نفسيا مما حدث.. وآن لنا أن نستريح جميعًا.. والقصة شارفت على كلمة النهاية.. وعلينا أن نحمد الله وأن نتجهز لهذه النهاية.. ونبدأ حياة هادئة.. وتركهم وغادر..

لكن قبل أن يغادر الفيلا.. وهذا الشيء يرتبط بالقبو؟؟

قامت كل من دادة حليمة وعفاف لتجهيز الأمر على أن تتولى دادة حليمة حجرة الأولاد وتتولى عفاف حجرتها وحجرة عماد.. واستغرق الأمر معظم وقت النهار.. ولم يعكر صفو الوقت شيء إلا حينما دخلت عفاف حجرة عماد وهي تقرأ القرآن طوال الوقت.. تقول سمعت أنات كمن يبكي.. أنظر حولي فلا أرى شيئًا.. وفجأة تجد خيالاً يقف أمامها في المرآة.. كاسف البال حزينًا.. وجدت من الشجاعة ما مكنها أن تنظر إليه.. وقبل أن تنطق بالكلام.. اختفى ووجدت مكتوبا على المرآة بالدم الأحمر القاني "سامحوني مازال دمي ينزف.. ليس كثيرًا أن أطلب قبرًا"

مسحت الكلام بسرعة.. وكتمت الأمر.. لقد كان عماد.. كانت نفس الملابس.. يا من يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وكلت كل أمورنا إليك.. أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير.. دبر لنا فإنا لا نحسن التدبير.. وأخذت تجمع كل ما استطاعت من أوراق وأغراض حتى اجتمعوا جميعًا على مائدة العشاء.. ودار حوار هادئ حاول فيه محمد بك أن يبدو طبيعيًا.. حتى تمر الأمور بسلام ويغادروا أرض اللعنة..

محمد بك: قد يكون غدًا آخر يوم نجتمع فيه.. عليكم أن تستمتعوا بكل لحظة فيه، سيقضي الجميع الوقت في الحديقة.. حفل شواء نجتمع عليه جميعًا.. ستقومون أنتم.. عفاف ودادة

والأولاد.. بتجهيز اللحم المشوي في الكوخ.. أما أنا فسوف أبدأ أول درجات سلم المجد..

سأقضي النهار كله في المكتب المطل على الحديقة.. أشعر أنني سألتقي بالوحي.. سأضع الكثير من الأفكار على الورق.. سوف تكون قصة رائعة.. سوف أفاجئ المجتمع الأدبي بكاتب محترف وكتابة قصصية بكر.. لم يتطرق إليها أحد.. سنبدأ حياتنا السعيدة يا دادة.. سنربي ابننا بين إخوته يا عفاف.. أرهقتكم كثيرًا وآن الأوان أن أستريح وتستريحوا أنتم.. دعواتكم..

دادة حليمة: ربنا يهدّي سركم يا ولدي.. ويرزقكم الخير أنتم وذرياتكم..

عفاف: أتنمى أن تكون بداية يرضى عنها الله سبحانه وتعالى.. ويرضينا بها..

مرت الليلة على خير ما يكون.. ولم يعكر صفوها شيء سوى أن عفاف كانت تشعر بشيء من القلق الداخلي أقض عليها مضجعها وضيع عليها النوم الهادئ.. صلت الفجر ودعت الله كثيرًا أن يطرد عنها وساوس الشيطان.. قامت من نومها مبكرًا على غير العادة.. وأيقظت دادة حليمة لتجهيز الفطور معًا..

دادة حليمة: ماذا بكِ يا ابنتي؟ عيناك مثل كاسات الدم ووجهك به بعض التورم.. وكأنك لم تنامي قط.. اهدئي.. والله لا يفعل إلا الخير..

عفاف: قلقانة يا دادة.. وقلبي مقبوض.. أتمنى أن تمر ساعاتنا الباقية في هذا المكان على خير.. أكاد أختنق.. و كل وساوس الشيطان أحاطت بعقلي..

جهزتا معًا الإفطار.. واجتمعوا جميعًا على السفرة.. الأولاد في سعادة..

أحمد ونور: جمعنا كل اللعب في صندوق واحد وتركنا فقط الكرة نلعب بها في الحديقة.. أونكل محمد.. عايزين مكان واسع علشان نقدر نلعب فيه.

محمد بك: سوف نشتري منزلا أوسع من هذا المنزل.. وسيكون به حديقة.. وحمام سباحة.. وسنسعد به جميعًا إن شاء الله.

عفاف: سأجهز اللحم للشواء.. وبعض الخضروات ثم أنزل أنا ودادة للكوخ..

محمد بك: أما أنا فسوف أستأذنكم وأعتزلكم في المكتب الكبير.. أشعر أن الوحي هناك بانتظاري.. سوف تبدأ إبداعاتي اليوم.

ويمر وقت النهار بطيئا.. عفاف ودادة حليمة في الكوخ حيث بدأت رائحة الشواء المميزة تسيطر على المكان وتملأ أرجاء الحديقة.. ورجال الحراسة يشعِرون الجميع بالراحة والأمن، وسعداوي يجهز كل ما يحتاجون إليه من طلبات بمساعدة الخدم.. من داخل الفيلا وخارجها.. أحمد ونور يتحركان ويركضان عبر أرجاء الحديقة بالكرة وبغيرها..

وسعادة الأطفال وطائر البراءة يحوم حولهم.. ويملأ الجو بهجة.. ومر أصحاب شركة السياحة ومعهم مهندس استشاري.. رفع قياسات الفيلا والحديقة.. وأخذوا يتشاورون في مسألة هدم الفيلا من عدمه، وإذا لم يتم الهدم.. كيف يمكن إضافة مركز خدمات للشركة في أطراف الحديقة يكون له باب آخر مع الاستفادة من العنصر الأثري للمبني.. الأساس للفيلا والقبو.. ويبدو أن الجميع شاهد الحاج عبد الرحمن وسيد كوداك وهما يحومان حول القبو والسلالم المؤدية لبابه.. ثم صلاتهم أمامه..

الغريب واللافت للنظر كان حضور أبي الكرامات على غير هيئته المعهودة.. إذ يبدو أن الرجل قد ثاب إلى رشده وتاب إلى الله بعد فقد ابنه كارم في جلسة من الجلسات خنقًا.. وأقبلت عليه عفاف تعزيه بحرارة..

فقال إن عليه واجب جاء يؤديه.. حيث إن هناك روح معذبة هائمة في هذه الأرض.. تريد أن تستريح، وطلب نقل هذا الكلام إلى محمد بك.. نظرت عفاف إلى دادة حليمة نظرات يملؤها العجب والاستغراب، إلا أنه أكد شيئا في نفس عفاف أصرت أن تنقله إلى محمد..

غادر الجميع.. وخلت الفيلا والحديقة إلا من ساكنيها.. وأصبحت الوليمة جاهزة.. واشترك الجميع في وضع المناضد وصنعوا سفرة الوليمة فاخرة.. جلست عفاف والأولاد.. ثم أصرت دادة حليمة أن

تذهب في طلب محمد بك.. حيث شارفت الشمس على المغيب.. وتلونت السماء بالشفق الأحمر القاني، وكأن السماء تبكي دمًا.. منظر الغروب يوحي بالوحشة.. ويعطي رسالة للبشر أن دوام الحال من المحال.. وكل شيء إلى زوال، فالشمس ما أشرقت إلا لتغيب، والنهار ما جاء إلا لتهجم عليه جيوش الليل السوداء.. شعور بالبرودة والوحشة والخوف والوجل.. يشرئب فجأة إلى قلب ونفس عفاف.. التي أخذت تحوقل وتدعو الله أن يمر الوقت على خير.. دقائق وتعود دادة حليمة بغير الوجه الذي ذهبت به.. كان وجهها ممتقعًا تبدو عليه إمارات القلق: ست عفاف.. محمد بك ليس بالمكتب.. وليس بالفيلا أيضًا.. بحثت عنه لكني لم أجده، انا قلقانة..

عفاف: قلقانة من إيه يا دادة؟ أكيد في حجرة من الحجرات أو في التواليت طالما غادر المكتب.. ولو خرج لعلمنا.. نادت على سعداوي: سعداوي.. هل رأيت محمد بك اليوم؟ هل خرج أمامك؟

سعداوي: لا يا هانم.. نحن لم نغادر البوابة أنا والرجال.. أكيد بالفيلا..

عفاف: تعالى معايا يا سعداوي..

صعدت عفاف والقلق يساورها.. الأحداث الأخيرة كانت غير عادية.. وتنذر بكارثة لا يعلم حدودها إلا الله.. وما إن وصلت الهول حتى كانت المفاجأة.. صورة محمد مقلوبة وملطخة بالدم تمامًا كصورة

كاميليا وابنها.. هنا دارت الدنيا بعفاف.. معنى هذا أن مصير محمد كمصير كاميليا وابنهما.. ترى ماذا حدث لمحمد؟!

عفاف: سعداوي.. اقلب الفيلا وشوف محمد بك فين.. بسرعة الوقت مش في صالحنا..

سعداوي: أوامرك يا هانم.. صعد سعداوي بسرعة وهي تكاد تجري من خلفه.. حجرة حجرة.. لا يوجد أحد.. حتى وصلت إلى حجرة عماد في آخر الردهة.. فتح سعداوي.. ووقف.. لا يوجد شيء، لكن كان مكتوب على الزجاج بالدم:

الحمد لله ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ يبقى لي قبر.

كان للكلمات وقع مرعب على عفاف.. والتي بدأت تنسج الأفكار بعضها إلى بعض.. إذن حدث مكروه لمحمد.. لكن أين هو وأين عماد؟! أمرت سعداوي بالبحث في أرجاء الحديقة عن عماد أو محمد أو أي آثار تدل عليهما.. ونزلت وحدها مسرعة نحو المكتب.. المكتب يخلو من أي شيء إلا من أوراق محمد بك على مكتبه.. اقتربت عفاف من المكتب ونظرت للأوراق.

العنوان "عاد لينتقم" وتحتها ببنط أقل "روح هائمة" وبدأت تقرأ مسودة الرواية...

"الأفكار تحكي قصة الزوج الذي سيطر طمع الدنيا على عقله.. فلم يجد بدًا من قتل شقيق زوجته وادعى اختفاءه.. ليستصدرا حكمًا

قضائيًا بوفاته بعد أن أخفى جثته في تابوت في قبو الفيلا.. ولتصبح زوجته شرعًا وقانونا الوريث الوحيد للفيلا وللتركة ويعيش هو معها في بحبوحة الثراء.. وكيف أن القدر عاقبه بعد ذلك.. وكان العقاب أليمًا.. إذ يفقد زوجته وولده حرقا في حادثة أغرب من الخيال.. ليترك الفيلا والبلاد هائمًا على وجهه.. وبعد عودته تظهر الروح للانتقام والثأر ولتبحث عن قبر..

فغرت عفاف فاها.. وتغيرت كل ملامح وجهها وكادت تقع فالتصقت بأقرب حائط.. تهذي وتنظر حولها على غير هدى.. كانت المفاجأة التي أرعبتها أن الأوراق ممهورة باسم عماد.. يعني عماد كان معنا اليوم.. ليواصل الانتقام.. وهذا يفسر وجود صورة محمد مقلوبة وملطخة بالدم.. وصرخت صرخة اجتمع لها أهل الفيلا جميعهم..

عفاف: اتصل بالشرطة فورًا يا سعداوي.. يبدو أن محمد حدث له مكروه..

دقائق وحضر رجال الشرطة.. كتبوا البلاغ.. قال قائدهم لا نستطيع الحركة واعتبار أن في الأمر شيء إلا بعد مرور ٢٤ ساعة على الاختفاء.. صرخت عفاف.. وأحاطتهم علمًا بكل شكوكها وحكت لهم كل الوقائع التي حدثت في الفترة الأخيرة.. وسلمتهم الأوراق..

قائد الشرطة: وهل مطلوب أن نصدق بوجود أشباح وأرواح جاءت للانتقام؟ وطلب من أفراد القوة مسح الفيلا والحديقة والأسوار..

واستجواب كل الموجودين.. وانتهت القوة إلى وجود قطرات دم من المكتب وحتى السلم المؤدي إلى القبو..

قائد القوة: اثنان من القوة معايا لنفتح القبو.. واثنان على سلم التراس.. وعلى أضواء الكشافات يفتح سعداوي باب القبو عنوة.. والقبو أسفل مساحة الفيلا بالكامل.. يتحسسون موضع أقدامهم على تربة رملية وحوائط متآكلة يملؤها الهوام والعنكبوت ورائحة عطنة.. بالقبو سراديب جانبية.. وتبين وجود آثار حديثة لأقدام.. تتبع رجال الشرطة آثار الأقدام حيث قادتهم إلى أحد السراديب الجانبية وخلفهم سعداوي بأحد الكشافات التي تحول الظلمة إلى نهار، وفجأة صرخ سعداوي.. الحمد لله.. محمد بك في آخر القبو هناك.. جالس.. اتجهت القوة صوب آخر القبو حيث انكشف الأمر عن جثة محمد بك.. وقد اتكأ على تابوت، كانت الجثة ما زالت دافئة وعلى وجهه وعينيه تعبيرات مرعبة..

ينظر داخل التابوت حيث يوجد بقايا هيكل عظمي لإنسان يرتدي بقايا قميص مقلم وبنطلون أبيض.. وقد قبض بعظام كفه على رقبة الزوج محمد.. وقبض بالأخرى على يده.. ولم يدرِ أحد من منهما كان يمسك بالآخر.. وقف الجميع مدهوشين أمام هذا المنظر المرعب.. ولاحظ الجميع وجود قطرات من دم تنزل من مقلتي الهيكل العظمي.. ويبدو أنها دموع الفرح.. أخيرًا انتمت الروح لصاحبها.. وأخيرًا سيصبح لها قبر يؤويها.. ترى هل حيرت هذه الروح

الهائمة وظلت تنتظر القصاص حتى أذن لها خالقا بذلك؟ الله وحده يعلم..

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

وكشفت المعاينة بعد ذلك عن وجود بقايا إيشارب مات به عماد خنقا.. ولذلك كان القصاص خنقا.. وكشفت التحريات والأوراق عن وجود عقد بيع صوري من عماد لأخته كاميليا.. وقع عليه عماد عنوة.. (وهذا رأي خبير الطب الشرعي) (وخبير الخطوط).. وهذا قبل الإجهاز على عماد، لذا بدأ الانتقام بالشقيقة كاميليا وابنها.. وانتهي بمحمد بك..

تمت

* * *

للتواصل مع الكاتب

تليفون: ٠١٢٢٧٢٧٩٠٤٧

واتساب: ٠١٢٢٧٢٧٩٠٤٧

sobhy.shebl11@gmail.com

الإسكندرية ج . م . ع

(+٢) ٠١٠١٨٨٣١٣٦١

(+٢) ٠٣/ ٥٧٦٥٧٧٧

حسناء للنشر والتوزيع